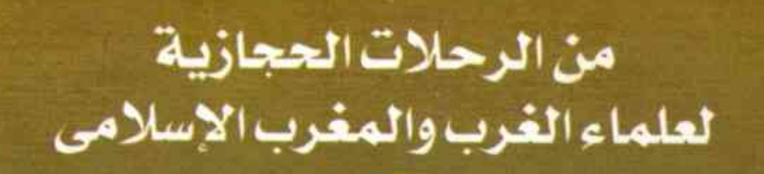


من الرحلات الحجازية
لعلماء الغرب والمغرب الإسلامى

1

رحلة الوارجلانى

الشيخ ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم السمدراتى الوارجلانى

500-570 هـ / 1106 -1175م

تحقيق وتعليق

أ. يحي بن بهون حاج أمحمد





رحلة الوارجلاني

الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني

تحقيق وتعليق

الأستاذ يحي بن بهون حاج امحمد

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، محمد بن عبد الله عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم، الحمد لله الذي علم بالقلم علَّمَ الإنسان ما لم يعلم، ومَهَّدَ الأرض وجعلها ذُللاً، وأجاز لعباده السعي فيها حتى يدركو مَلَكُوتِهِ فيُوحِّدُوه، وجعل بيته العتيق مثابة للناس وأمنًا، وشرع لهم الحجَّ إليه وهيَّئا لهم بذلك الأسباب، بأن جعل له وقتا معلوما، وهو القائل في محكم كتابه: "وأذِّن في النَّاسِ بالحجِّ يأتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ، يَاتِينَ مِن كُلِّ فجٍّ عَميقٍ" [1].

لقد كان بيت الله الحرام قبلة المسلمين ولا يزال، يحجون إليه مرة كل عام من مختلف بقاع الأرض، لا يمنعهم حَرٌّ ولا قَرٌّ، ولا قلة زاد أو رفيق، فمتى ما تهيأت لأحدهم بعض الأسباب التي تخول له الرحيل، إلاَّ وانطلق لأداء الشعيرة الخامسة في الإسلام.

ولكن لما كانت الأقطار متباعدة خاصة بين الشمال الإفريقي أو المغرب الإسلامي وأرض الحجاز، فإنَّ الناس في القديم كانوا يجتمعون في قوافل كبيرة، ليحمي بعضهم بعضا، ويتعاونوا على وعثاء الرحلة الطويلة والشاقة، حيث يخاطرون فيها بحياتهم وأموالهم، بقطعهم آلاف الأميال

[1] ينظر: سورة الحج، الآية 12، رواية ورش عن نافع.

خلال الفيافي الخالية والجبال الوعرة التي يحتمي بها قطاع الطرق والصعاليك..

إني ولا زلت طالبًا، لا زال يشدني في أدب الرحلة وصف المسالك والطرق والمفاوز، وطرائف الأقوام والجماعات، وقد تعرفت على رحلة الوارجلاني أول مرة حين عرض عليَّ الأستاذ أحمد بن حمو كروم قيّم مكتبة دار إروان، القصيدة الحجازية للوارجلاني وهي هذا الموضوع، من أجل التقديم لها وتحقيقها، للتحضير لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي من جامعة عمار ثليجي بالأغواط، كان ذلك سنة 2001م، وقد أخذتها معي خلال العطلة الصيفية تلك، أقرأ فيها وأفك رموزها، ولم أكد انتهي من قراءة القصيدة للمرة الثانية حتى دعتني حاجة ملحة لقراءتها مرة أخرى، وحسبي أني قرأتها إلى اليوم الذي سلمت فيه مذكرتي ما يزيد عن ثمان أو تسع وعشرين مرة وفي كل مرة كانت تشرق لي فيها معاني جديدة وفوائد أخرى كثيرة.

لقد حق فيها قول الدرجيني: "...ولعمر الله إن فيها لفوائد كثيرة ..."[1]، فكانت كشجرة تؤتي أكلها كل حين بألوان مختلفة وطعوم متباينة، ولطالما أنست بها مقيما أو مرتحلا فكانت ينبوع الحكم ومعدن المكارم ونعم المدخر والعدة والمشتغل والحرفة...

[1]. الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، دار البعث قسنطينة، ط1، 1970، ج2 ص495.

لقد كان الطريق شاقا للحصول على نسخ مصورة من القصيدة الحجازية، وقد تعذر عليَّ في بعض الأحيان اقتناء نسخة لسبب أو لآخر، وقد كانت عملية البحث عن النسخ المخطوطة في بعض الأحيان عويصة جدًا ومعقدة أحيانا أخرى، على أن الرجوع إلى بعض النسخ التي اهترى ورقها كان أمرا مستحيلا، وفيها التي أشكل عليَّ خطها لقدمها وتمحل مدادها، أو لتداخل الخطوط فيها، فقد كانت الكتابة تملأُ هوامش الورق، بيد أنه لابد من شكر الإخوان الذين ذلّلوا لي الكثير من الصعاب والعقبات وأشاروا عليَّ بالمكتبات المالكة للنسخ المخطوطة، فقمت أتردد عليها وعلى أصحابها أغترف من معين مكتباتهم وأقتبس من نور نصائحهم حتى استوت لي طريقة العمل في البحث وتحقيق متن القصيدة وشرحها.

طريقتي في البحث:

بعد أن جمعت ما أتيح لي من النسخ المخطوطة، كنت قد اطلعت على كتاب مهم في الموضوع وقد أفادني كثيرا في طريقة البحث، وهو الكتاب القيم للدكتور " محمد عبد السلام هارون "[1]، فشرعت في تصنيف النسخ المصورة وقدمت بالشرح والتعليق النسخ وأصحابها، مصادرها إن وجدت، والتي عليها الإمضاءات والتواريخ، والقديمة على الحديثة، ثم جعلت لكل نسخة حرفا دليلا عليها، ليساعدني ذلك أثناء وضع الهوامش والإحالات،

[1] - كتاب "تحقيق النصوص ونشرها " محمد عبد السلام هارون، مكتبة السنة مصر، ط4، 1991.

ثم وصفت كل نسخة بالتدقيق ـ كما ستجد ذلك مفصلا فيما يأتي ـ، وهذا حسب استطاعتي وما توفر لدي من وسائل لذلك، وقد نوعت في المصادر لأتحقق من عنوان القصيدة، واسم المؤلف ونسبة القصيدة إلى صاحبها، ومن ثمَّ تحقيق متن القصيدة حتى يظهر النص بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفها، كما يرى ويؤكد على ذلك د. محمد عبد السلام هارون في التقعيد لأوليات البحث[1]، وذلك ما تم لي ووفقت إليه ـ والحمد لله ـ، وقد آثرت التنبيه عن التصحيفات والاقتباسات على الحواشي لا على المتن، محاولا في كل ذلك تحقيق الأمانة وتأدية واجب العلم.

ولما كان ياقوت الحموي قريبا من عصر الوارجلاني فإني استعنت بمعجمه في شرح الأماكن حسب ما توفر، كما وشرحت بعض الأعلام أيضا، وذلك حسب استطاعتي وما وصلت إليه لأن معظمهم مغمورون.

وأشرت بـ: (و) إلى الوجه، وبـ: (ظ) إلى الظهر على المتن، ما يوافق النسخة (أ) التي اعتمدتها وقدمتها على جميع النسخ.

وأنهيت العمل بوضع ملحق يضم قصيدته في رثاء شيخه أبو سليمان أيوب بن إسماعيل، ثم صور لثلاث خرائط، الأولى تبين ـ قدر المستطاع ـ مسلك الوارجلاني إلى الحجاز، والثانية تبين مسلكه لأداء مناسك الحج في بلاد

---

1 - محمد عبد السلام هارون، "تحقيق النصوص ونشرها "، ص42.

الحجاز، أما الثالثة فهي تبين مسلكه وهو عائد إلى وطنه، رغم ما صادفني من صعوبات في بيان الأماكن وشرحها، ونظرا لاندثار معظمها ووجود بعضها بقلب الصحراء حيث يُعتقد أنه لم يصل إليها صاحب معجم البلدان أو لم يسمع عنها أصلا، ثم لندرة الخرائط القديمة التي تبين المواقع.

وكذلك الأمر بالنسبة للأعلام، فهناك من الأعلام المذكورين في الحجازية من لا يعرفهم إلا صاحبها، ولم يخلدهم التاريخ بذكر، كما أن هناك منهم من يُعرِّفُهُ بنعت مادحاً أو ذاماً، فلم أعرف أسماءهم من كُناهم، فتورعت عن الخوض فيها كي لا يشكل النص على القارئ، وقد أنهيت عملي بوضع مختلف الفهارس: القبائل والأعلام والأماكن.

وفي الأخير أتمنى أن يستفيد من هذا الكتاب كل من قرأ منه شيئا، وأن يجعل ثوابه في ميزان الحسنات، والله أسأل التوفيق والسداد، إنه نعم الهادي والموفق.

يحي بن بهون.

العطف: 17 مايو 2006.

مدخل

التعريف بالوارجلاني:

هو الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني من أشرف علماء الإباضية بالمغرب "هو بحر العلم المسخر للنفع فترى الفلك فيه مواخر، الرفيع القدر والهمة، الجامع لفضائل كل أمة، المحتوي على علوم جمة "[1] كما وصفه الدرجيني صاحب الطبقات، ويعد أقدم مصدر تحدث عن أبي يعقوب إذ جعله ضمن الطبقة الثانية عشرة (550-600هـ/1155-1203م) اعتبارا لسنة وفاته ويرجح كون ميلاده سنة 500هـ/1106م بسدراته من وارجلان حيث نشأ هناك وأخذ مبادئ علومه الأولى على الشيخ أبو سليمان أيوب بن إسماعيل (ت: 524 هـ/1129م). وقد رثاه في قصيدة بائية عدد أبياتها ثمانون (80) بعد وفاته إكراما لفضله عليه، مطلعها:

أيوب ما أيوب لا أيوب أودى به قدر الردى المجلوب[2]

كما أخذ عن أبي زكرياء يحيى بن أبي زكرياء، وتذكر بعض المصادر أنه تتلمذ أيضا على أبي عمار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني، هذا الأخير ترجحه الروايات أنه كان رفيقا له في الدراسة لا شيخا له[3]، وقد عاصر الوارجلاني الشيخ أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي المرغنّي، ويعتبر هؤلاء

---

[1] - الدرجيني، طبقات المشائخ، تح إبراهيم طلاي، دار البعث قسنطينة، ط1، 1970، ج2، ص 491.

[2] - ينظر: نص القصيدة كاملا في آخر هذا الكتاب، في الملاحق، صفحات 83 وما بعدها.

[3] - جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1991، ج4 ص 1010.

الثلاثة: أبو يعقوب وأبو عمرو وأبو عمار من أشهر علماء الإباضية الذين خلفوا كتبا هامة وبرزوا في علم الكلام على الخصوص[1].

"لقد كان له في كل جو متنفس، ومن كل نار مقتبس، فله يد في علم القرآن، وفي علم اللسان والحديث والأخبار وفي رواية السير والآثار وعلم النظر والكلام والعلوم الشرعية عبّاداتها والأحكام وعلم فرائض المواريث ولم يخل من اطلاع على علوم الأقدمين بل حصل مع ملازمة السُّنَّة قطعة من علم الحكماء المنجمين.. "[2].

فكان عالما وعلامة موسوعة، لم تمنعه قساوة الطبيعة في وارجلان من المضي قدما للاستزادة من معين البلدان البعيدة، فقد كان شغوفا بالعلم إذ شد الرحال إلى الأندلس، ومكث بها خمس سنين حتى لقّب -"بجاحظ الأندلس"[3]، ولما عاد منها لم يلبث طويلا حتى قرر الارتحال إلى السودان، وذلك من أجل التجارة، ولما عاد منه كان قد عزم على عقد رحلة إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، ولعلي أشير هنا إلى أن الأخبار التي أوردها الدرجيني في طبقاته قد تداولها بعده كل من تكلم عن الوارجلاني في كتاب أو جواب، فنفس الأخبار يوردها أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشمَّاخي (ت: 928هـ) في السير، وعبد الله بن حميد السَّالمي في: الجامع الصحيح،

---

1 - نفسه ص 1011.

2 - الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج2 ص491.

3 - ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج4 ص 1011، قلت لعله لقب بذلك لاشتغاله بعلم الكلام.

والشيخ علي يحي معمَّر في: الإباضية في موكب التاريخ، و الأستاذ عبد الرحمان الجيلالي في: تاريخ الجزائر العام...، ليبقى كتاب طبقات المشائخ بالمغرب للشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت: 670هـ)، أقدم مصدر على الإطلاق تحدث وفصل في تاريخ الشيخ أبي يعقوب وفي رحلاته ومؤلفاته.

وقد توفي الشيخ أبو يعقوب كما هو مشهور سنة 570 هـ /1175 م بمسقط رأسه بمدينة سدراته بوارجلان –رحمه الله–.

آثاره:

ترك الشيخ أبو يعقوب آثارا هامة، لا زال الموجود منها يتناوله الدارسون يقتبسون من نورها، ومنها ما ضاع مع حوادث الزمان فلم يُحفظ لسوء الحظ، ومن مؤلفاته:

1."تفسير القرآن الكريم": تذكر المصادر أنه يقع في سبعين جزءا، رأى البرادي منه تفسير سورتي البقرة وآل عمران[1].

2. "الدليل والبرهان لأهل العقول": ومعظمه في أصول الدين وعلم الكلام، ولو أنه في الأصل يعدُّ موسوعة مصغرة لمختلف الفنون من كلام وتاريخ وفلسفة ومنطق ورياضيات وعلوم وأخبار.. يقع في ثلاثة أجزاء وقد طبع أكثر من مرة.

1 – إبراهيم البرادي، " الجواهر المنتقاة "، طبعة حجرية، د.ت، ص 220-221.

3. "العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف": وهو من أشهر مؤلفاته ويقع هو الآخر في ثلاثة أجزاء، الأول أورد فيه المؤلف البراهين على صحة مذهبه، وناقش آراء الأشعري حول الصفات، والوعد والوعيد، وخلق القرآن..، أما الجزء الثاني: هو عبارة عن مناقشة لموضوع "ما لا يسع جهله في الدين"، ثم مناقشة آراء مجموعة من علماء مذهبه في قضايا أخرى متعددة ومتميزة، أما القسم الثالث فيتألف من ستة ردود طويلة على أسئلة طرحت عليه، وقد طبع من دون تحقيق ثم حققه د. عمرو خليفة النامي ولا يزال مرقونا، ثم اختاره الباحث أ. مصطفى باجو في رسالته للماجستير قارن فيها بين الوارجلاني في العدل والإنصاف والغزالي في المستصفى، طبعت الدراسة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان.

4."مرج البحرين": في علم المنطق وهو في آخر كتاب "الدليل والبرهان" شرحه الشيخ عبد العزيز الثميني في كتاب "تعاظم الموجين في شرح مرج البحرين"[1] (مخ).

5."ترتيب مسند الربيع بن حبيب": وهو معتمد الإباضية في الحديث، وقد طبع عدة مرات.

6."رسالة في تراجم رجال المسند": اعتبرت مفقودة، ثم عُثر على قسم منها في مكتبة آل يدّر ببني يسجن.

---

[1] - معجم أعلام الإباضية، ج4 ص 1013.

7."فتوح المغرب في تاريخ بلاد المغرب ": وهو مفقود، ذكـــرت بعـــض المصادر أن هناك أجزاء منه موجودة في بعض خزائن ألمانيا[1].

8."أجوبة فقهية" (مخ): لو جمعت لكونت مجلدا ضخما.

9."رسائل متنوعة": جمع بعضها في الجزء الأخـــير مـــن كتابـــه"الـــدليل والبرهان".

10."سير محبوب بن الرّحيل في تاريخ الإباضية بالمـــشرق" وهـــو شـــرح مفقود.

11." ديوان شعر ": مفقود أيضا بقي منه قصيدة في رثاء شيخه أيوب بن إسماعيل أوردها الدرجيني في طبقاته[2]، وقد أوردها بدوري في ملاحق هذا الكتاب لتعمَّ بها الفائدة، وأجمع بذلك شعر أبي يعقوب في مؤلفٍ واحد.

12." القصيدة الحجازية ": وهي موضوع الكتاب.

وقد حُكي عن الشيخ أبي يعقوب: " أنه أقام سبعة أعوام ملازمـــا داره لا ينصرف منها، فكان متى ما زاره أحد من الزوار وجده إما ينـــسخ وإمـــا يدرِّسُ، وإما يقابل، وإما يبرئ الأقلام، وإما يطبخ الحبر أو يسفِّرُ كتابا، لا يعدل عن هذا الفن إلى ما سواه إلاّ إن قام لأداء فريضة، وكان إذا اعتمد اعتمد تأليفا أو نسخ ديوانٍ لا يهُولُهُ ولا يستعظم فيه صعوبة ولا كثـــرة، فإن له على ذلك قدرة، وذكر بعض الثقاة: وقفت ببلادنا قسطيلية وسوف

[1] - نفسه، ج4 ص 1013.

[2] - طبقات المشائخ، ج2 ص 462.

وأريغ ووارجلان على سبع نسخ أو ثمان من كتاب العــدل والإنــصاف تأليف أبي يعقوب كلها بخط يده، وأما أنا فرأيت منها ثلاثا"[1].

ومما يحكى عنه أيضا من طرائف حرص أهل بلده وارجلان على الانتفاع بعلمه واغتنام الفرص أنه: "كان إذا جاء إلى موضع الوضوء في مسجد وارجلان، انصرف كل من حول المتوضئ، فيضع سِفرًا ومفتاحا ويضع عمامته وكساءه، ويقعد في ثوب واحد فيدخل المطهرة، فيرجعون ويأخذ أحدهم شيئًا منها ويأخذ الآخر شيئًا آخر، حتى يرجع الشيخ فلا يجد شيئًا فيقول ردوا عليَّ علائِقِي، فيقول أحدهم أردُّ بِعِوَضٍ، فيسأل عن مسألةٍ في النحو ثم يجيب فيردُّ ما أخذ، ثم يسأل الآخر عن فريضة ويسأل الآخر عن مسألة فقهية ويسأل الآخر عن تأويل آية، ويسأل الآخر عن تأويل رؤيا وعن غير ذلك، فيجيب كلهم فحينئذ يردون عليه ما أخذوا، فكان ذا دأبه حتى لقي الله"[2].

رحلاته:

تتفق معظم المصادر على أن للشيخ أبي يعقوب ثلاث رحلات مهمة وهي: رحلته إلى الأندلس طلبا للعلم، وإلى السودان للتجارة والاستكشاف، وللمشرق لحج بيت الله الحرام.

---

[1] - طبقات المشائخ، ج2 ص 492.

[2] - نفسه، ج2 ص 492 وما بعدها.

1.رحلته إلى الأندلس: قد كانت في ريعان شبابه، فبعد أن استكمل علومه الأولى في مسقط رأسه سدراته، شده حبه للعلم والإطلاع إلى المضي قدما في أول رحلة طويلة كانت إلى جزيرة الأندلس، حيث أقام بقرطبة سنين عددا، وحصل منها مختلف العلوم النقلية والعقلية وكان بين طلابها مثال النبوغ النادر والأدب الجم، والإطلاع الواسع حتى كان الأندلسيون يلقبونه "بالجاحظ"، يقول الدرجيني عنه:

"...أن أبا يعقوب كان في عصر شبيبته يقرأ في قرطبة ففيها أتقن هذا الفن[1] وفيها حصل بضاعة وافرة من اللغة غير مجزاة، وفيها قرأ جملة من كتب الحديث ..."[2].

لا توجد معلومات كافية ومفصلة في المصادر والمراجع عن طريق رحلة الوارجلاني إلى الأندلس إلا طريق العودة، حيث يورد الشيخ أطفيش خبرا عن التقاء الوارجلاني بعالم كان يدرس معه في الأندلس وهو من سجلماسة حيث التقى به هناك[3].

ولعله كان طريق ذهاب وعودة الوارجلاني، أي من مسقط رأسه إلى سجلماسة ثم تيهرت إلى أحد موانئ المغرب إلى الأندلس ذهابا وعودة، وربما كان ذلك أيام شبابه أي من خمس وعشرين إلى الثلاثين من عمره،

---

1 - يقصد هنا فن صناعة الشعر، لأنه كان بصدد الحديث عن قصيدته الحجازية.

2 - طبقات المشائخ، ج2 ص 494.

3 - امحمد بن يوسف أطفيش، "إن لم تعرف الإباضية" ط حجرية ضمن مجموع د.ت ص 09.

غير أن المصادر لا تورد زمن الرحلة ولا مدة مكوثه هناك، ولو أن إحاطته بعلوم كثيرة من إقامته في جزيرة الأندلس حتى لقب بالجاحظ هي دليل على طول مكوثه، ولا بأس أن أورد هنا ما ذكره الشيخ أطفيش عن خبر الوارجلاني إذ يقول ردا على أحدهم: "إن لم تعرف الإباضية فقد عرفهم عالم مالكي من أهل سجلماسة وهي تافيلالت، كان يقرأ مع الإمام يوسف بن إبراهيم في قرطبة من الأندلس على شيخ والتقيا بعد خروجهما من الأندلس في سجلماسة، والرجل على فرس والإمام يوسف بن إبراهيم على جمل فقال له المالكي:

ما كنت أحسب أن الطود تحمله الـ ـعيس فيصبح بين الرحل والقتب
ما أنصفت جوهة من كان أوحدها علما وأكملها في العلم والأدب
إذ ضيقت حالها فيها و قد وسعت ذوي الجهالة والخطل في النسب[1]

لا شكَّ أنَّ الشيخ أبي يعقوب قد مكث زمنا في الأندلس ربما يزيد عن خمس سنوات، يضاف إليه الاشتغال بعلم الكلام، والاختلاف إلى مجالس العلماء بمزاحمة الرُّكب، حتى جعل الأندلسيين ممن عرفوه يلقبونه بالجاحظ، قد تكون دليلا واضحًا على طول هذه الرحلة.

---

[1] - ينظر: السابق، ص 09.

2. رحلته إلى السودان:

لقد كانت الرحلة إلى السودان حتى وقت قريب طلبا للثروة شيئا معروفا ومطلوبا، وقد كان أهل وارجلان من أهم الناس الذين ينشطون في المجال التجاري وبالتالي كانت رحلاتهم إلى السودان مستمرة ومتواصلة طلبا للذهب والرقيق، وكانت مختلف شرائح المجتمع تساهم في النشاط التجاري حتى العلماء والدعاة، وإن من أسباب نشر الدعوة الإسلامية في مجاهل إفريقيا التجارة أولا، وقد انظم أبو يعقوب إلى التجار فقصد السودان طلبا للرزق من جهة، ثم حبًّا للاستكشاف والمغامرة، متعلقا بالظواهر الاجتماعية والجغرافية لتلك المناطق، وتختلف آراء الدارسين عن طبيعة توجهات الرحلة أتجارية بحتة كانت أم علمية ؟[1]، قلت لعلّها _كما أسلفت _ كانت تجمع القصدين معا.

لقد أهملت المصادر ذكر هذه الرحلة أصلاً، ولولا ما دونه أبو يعقوب في كتابه "الدليل والبرهان" من إشارات وردت عرضا في ثنايا الكتاب لضاع كل شيء عن هذه الرحلة، حيث ذكر في كتابه مواضع عديدة منها كانم، وهو موضع شرقي بحيرة تشاد، وكُوار مجموعة واحات بإقليم كانم سكانها مسلمون بربر تجارتهم الرقيق، وقد أخذت رحلته طريق وارجلان إلى جادوا أكبر مركز تجاري في جبل نفوسة، ثم الزويلة ثم كوار وصولا إلى قريب من

---

[1] - مصطفى باجو، أبو يعقوب الوارجلاني وفكره الأصولي مقارنة بأبي حامد الغزالي، رسالة ماجستير، قسنطينة1991، ص108.

خط الاستواء كما يقول عـــن نفسه: "...وقد وصلت بنفسي إلى قريب من خط الاستواء وليس بيني وبينه إلا مسيرة شهر، وكاد أن يستوي فيـه الليل والنهار أبدا، و إنما وصلت إلى قريب منه وأطول يوم السنة إنما يفضل أقصر يوم منه بساعة واحدة، والنهـــار الطويل ثلاثة عـــشر ســاعة، والنهار القصير إحدى عشر ساعة ولياليها كذلك.. "[1].

وقد جمع من رحلته هذه معارف أخرى جديدة عن طبيعة الطقس وطبائع المخلوقات في بلاد السودان، كما حصل على ثروة قد تؤهلـه لمواصـلة مشواره العلمي والتفرغ للتأليف بعدها، وكانت ملاحظاته الدقيقة عـن أحوال الطقس تحصيل حاصل لما أخذه واغترفه من رحلتـه إلى جزيـرة الأندلس أين حصّل علومه ودراساته العليا هناك، فللأسفار دورها الهام في توسيع المدارك وتجلية الحقائق، وفي ذلك يقول الـوارجلاني:"..ومـن لم يمارس الأمور ولم يفارق وطنه ظن وتوهم أن بلده إذا كان فيها ريـح أو غيم أو رعد أو برق توهمه في سائر الدنيا،.. فإذا مارسوا الأمور وسافروا ورأوا البلاد والعباد انقشع عليهم جل علومهم ورجعوا إلى الحقـائق "[2].

3. **رحلته إلى المشرق:** لقد كانت الرحلة من المغرب إلى المـشرق مـن العرف السائد حتى أيام وجود و ازدهار جزيرة الأندلس، كما كان العلماء

---

[1] - الوارجلاني، الدليل والبرهان، تح سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي عُمان، 1983، ج3 ص216.

[2] - الوارجلاني، الدليل والبرهان، ج2 ص 95.

رغم غناهم لا يكتفون بحلقات العلم في حواضر الأندلس بل يشدون الرحال إلى المشرق طلبا للحديث والجلوس إلى علماء اللغة وغيرهم، هذا وقد كانت الرحلة تكسب صاحبها الهيبة والاحترام.

هذا من جانب السعي لطلب العلم، أما من ناحية الدين والشرع ففي المشرق بيت الله الحرام وقبر رسوله الكريم ρ وحج البيت فرض إسلامي لمن استطاع إليه سبيلا، وكل مغربي يتمنى زيارة بيت الله الحرام ولا سيما الدعاة والعلماء ومنهم أبو يعقوب فهو شغوف للرحلة والسفر، ولن يثنيه عزم عن شد الرحال إلى البيت العتيق من رحلته إلى السودان تمكنه من التشجع مرة أخرى واقتحام الصعاب وقطع الفيافي والقفار.

تاريخ الرحلة: تتفق معظم المصادر على أن هذه الرحلة كانت الثالثة أيبعد رحلته إلى الأندلس ثم الثانية إلى السودان وكانت بالتالي في سن متقدم من عمره وذلك ما نستشفه من حجازيته:

عَلَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُهَا مِنْ قَصِيدَةٍ وَقَلْبِي مَشْغُولٌ وَهَمِّي وَخَاطِرِي

بِحِلٍّ وَتَرْحَالٍ وَطُولِ مَشَقَّةٍ وَشقَّة بعْدِي عَنْ بَنِيَّ الأَصَاغِرِ

وَتَذْكَارِ أَهْلِي طَالَ نَأْيِيَ عَنْهُمُ وَأَرْحَامِ قُرْبَى مِنْ أَهَالِي الأواصِرِ

وَفَقْرِي وَوَقْرِي وَانْتِكَاسِي وَشَيْبَتِي وَتَوْدِيعِ أَيَّامِ الصِّبَى وَالخَوَافِرِ[1]

[1] - الوارجلاني، القصيدة الحجازية، نسخة (مخ) بحوزة الباحث.

إنَّ في هذه الأبيات الدليل على تقدم سنه، فقد خبر وسبر من رحلاته الكثير ليقدم وصايا ومواعظ عن إنسان حنكته التجارب والأيام، كما ذكر مشاقَّ طلب الكسب بالسفر إلى غانا وهي الأخرى دليل مجرب ومكتشف لتلك الطريق[1]، ثم إنه كان مع علِّيَةِ القوم[2]، حيث تذكر الروايات أنه جلس مع الشيخ أبي عمار عبد الكافي التناوتي وهما في محضر من أصحابهما، في بعض جبال مكة يتحدثان عن حكم مال من اشتهر بالإغارة، فقال أبو أبو عمار هذه جزيرتهم الأقعد فيما بين أيديهم والأغلب عليه الحلال، وتلك جزيرة البربر إنهم فيها غارة وكل ما بأيدي الغارة ريبة، فإنهم في بلادنا غارة، ونحن البربر في جزيرتنا كالعرب في جزيرتهم[3].
ثم إن تلك الدرجة لا ينالها إلا رجل بلغ في العلم منزلة عالية، وهي بالطبع لمن عرك الحياة ونال منها القسط الوفير.

وتذكر بعض المصادر أن الشيخ أبا يعقوب قد سار إلى الحجاز وفي نيته رؤية الزَّمخشري صاحب الكشَّاف ليسأله عن بعض المسائل الكلامية، فلما بلغ أرض الحجاز إذ بجنازة تمرُّ أمامه وخلفها خلقٌ كثير فسأل عن صاحبها فقيل له هي لجار الله الزَّمخشري، فلم يلبث الشيخ أن أنهى مناسك حجه حتى أقفل راجعا إلى بلده.

---

1 - نفسه، البيت 241.

2 - نفسه، الأبيات 5-12.

3 - الدرجيني، الطبقات، ج2 ص 490.

من هنا قلت لا شك أنّ رحلته إلى الحج كانت على الأقل آخر رحلة من رحلاته الطويلة، حيث ربما كان قد عقد بعد هذه رحلات أخرى قصيرة إلى بلاد أريغ وما حولها، من أجل الفتوى أو فك النزاعات التي كانت تنشب بين الفينة والأخرى بين القبائل.

القصيدة الحجازية:

إن أقدم مصدر تحدَّثَ وأشار إلى هذه الحجازية هو الدرجيني في طبقاته، إذ يقول: "..ومما يدلك على سعة ما عنده من هذه الفنون[1] قصيدته الحجازية المتطاولة، فإنه أودعها فصولا على ما ذكرته من ذلك أبياتها عدد أيام العام، بدأ فيها بغزل رقيق، ثم الرحلة عن وارجلان، والتنبيه عن من صحبهم في ذلك الركب وذكر الطريق مترلة في سيرهم حتى وصلوا، وذكر المناسك، ثم فعل كذلك حتى خرج، ثم خرج إلى شيء من علم الحدثان، ثم وعظ أحسن وعظ وتذكير، ففيها ما يشهد له باتساع الفن، فكنت اعتقدت أن أودعها هذا الكتاب[2]، وأشرحها إجابة لرغبة من رغب إلى ذلك، لكن منعتني العجلة في تعليق هذا الكتاب، وكوني أيضا لم أجد من يرويها عن أبي يعقوب فأرويها عنه على صحة وأعرف مقاصده فأحذو حذوها، ولعمر الله إن فيها لفوائد كثيرة ..."[3].

هذا الخبر الذي أورده الدرجيني تكرر مع الشمَّاخي في سيره والسَّالمي في الجامع وفي معجم أعلام الإباضية مع إشارة إلى طائفة من الأخبار المتفرقة

---

1 - يقصد به فنون الشعر وعلم اللغة.

2 - يعني كتابه المشهور " طبقات المشائخ بالمغرب ".

3 - الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2 ص494-495.

عنه مع أبي عمار عبد الكافي في جبال مكة يتباحثون بعض القضايا مثـــل المكس[1].

ولاشكّ أن أصحاب هذه الكتب قد تأكدوا من صحة الأخبار المرويّة عن أبي يعقوب وعن حجازيته، ولا أحسبهم يتناقلون ذكرها من دون تمحيص ويثبتونها صدور مؤلفاتهم وهم على درجة نعلمها من صحة ما يوردونه في مؤلفاتهم، وبالتالي فإن أخبار أبي يعقوب وحجازيتـــه المتكـــررة في عـــدة مؤلفات صحيحة دون شك، وحديث الدرجيني عن الحجازية كان دقيقا قد يغنينا عن أخبار من لحقوه، غير أن تضافر الشواهد هو تأكيـــد علـــى صحة الخبر.

إنّ قول الدرجيني: "... لم أجد من يرويها عن أبي يعقوب فأرويها عنـــه على صحّة..."، هو دليل على توافر هذه القصيدة وتداولها بـــين النـــاس وقت ذاك، لكنه لما أراد أن يستودعها كتابه لم يجد من يرويهـــا عـــن أبي يعقوب مباشرة، فيضمنها كتابه على صحة، وذلـــك مـــذهب الـــشيوخ ـــرحمهم الله ـــ في نقل الأخبار.

كما هو دليل على تواجد نسخ عديدة مخطوطة من هذه القصيدة وذلك ما عاينته بنفسي أثناء البحث عن أقدم نسخة مخطوطة عن الحجازية.

---

[1] - الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2 ص 490.

طول الرحلة:

ومما أورد الدرجيني في كتابه أيضا عن أخبار أبي يعقوب وحجازيته قوله: "...وذكروا أنه لما عزم على المسير إلى الحج[1] أودع عند الشيخ أفلح المرغنّي مائتي دينار، فلما قدم بعد عامين سأله ما فعلت الوديعة يا أفلح ؟ قال: أكلها الزمان يا محمد، فلم يسأله عنها حتى لقي الله تعالى، وكان أبو عبد الله عظيم القدر في أهل المذهب بحيث لا يجهل موضعه ولا يجحد حقه ولا ينكر فضله، فمما يشهد بذلك قصيدة الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السّدراتي الحجازية، وقد حضرت الفقيه أبي العباس أحمد مرارا وفي يده ديوان شعر أبي يعقوب، فإذا قرأ لنا القصيدة المذكورة وبلغ قوله فيها:

خرجنا نؤم الشرق من حيز وارجلان   بفتيان صدقٍ من وجوه العشائر

إلى قوله: ومغراوة عليا زناتة كلها...، يقول لنا: لم يسافر في ذلك الركب من مغراوة غير أبي يعني الشيخ أبي عبد الله فيسلم له بذلك جميع من حضر من مغراوة، وناهيك بواحد يقوم مقام جماعة في مثل تلك القصيدة التي بقيت تاريخا..."[2].

في حديث الدرجيني عن الوديعة حيث سأل الشيخ أبو عبد الله الشيخ أفلح المرغنّي أن يرد له أمانته بعد عودته من الحج الذي دام سنتين، ولما كان الشيخ أبي عبد الله هو الذي عناه الوارجلاني بزناته كما يذكر ذلك ابنه أبو

---

[1] يقصد أبو عبد الله محمد بن علي.

[2] - الدرجيني ج2 ص 501-502.

العباس أحمد في السِّير، فإن أ. بكير أُوعَّوشت أجزم من هنا بأن المدة الزمنية للرحلة دامت سنتين[1]، إلاّ أن الشيخ أبي يعقوب حسم الأمر ذهابا في مدة ستة أشهر من وارجلان إلى مكة بقوله:

وحق لمن قد سار ستة أشهر　　من الغرب حتى زار أبيض زاهر

قلت لماذا لا يكون مثلها عودة، رغم أن بعض المشاق قد عرقلت مسيرتهم نسبيا، إلاّ أنها لن تمد بالرحلة لتستغرق سنتين، ولو أنه مكث. كذلك لذكر ذلك، ثم إني لا أحسبه يغفل عن ذلك، كيف لا وهو شـديد الملاحظـة ومحبٌّ للتدوين، ثم إننا نعلم أيضا أن المسافر غالبا ما يكون أجدّ في سـيره عند العودة إلى وطنه منه عند مغادرته له، وذلك لإحاطته بالطريق التي كان قد اكتشف مسالكها في رحلة الذهاب، أضف إلى ذلك الشوق الكبير إلى الأهل والوطن، وبالتالي فإن الاستنتاج الذي يقضي بطول الرحلة سـنتين غير دقيق وواضح، وعدم ذكر التواريخ يدفعنا إلى تجنب الفصل الدقيق في مدة الرحلة وكم استغرقت عودةً، لذلك قلت لعلها استغرقت نفس مـدة الذهاب أو تزيد قليلا، ثم إن هناك في القصيدة الكثير مما يدل على الشوق المبرح إلى الوطن[2]، وعلى الجِدَّة في السير، خُذ مثلاً قوله:

وسرنا على ماء اليمامة قُفَّلاً　　تسيرُ المطايا كالسُّفونِ المواخر.

---

[1] - أوعوشت بكير، " أبو يعقوب يوسف الوارجلاني "، ص 41-42.

[2] - الحجازية، الأبيات 122-128.

وصف النسخ المعتمدة:

1.النسخة (أ): توجد ضمن مجموع يشتمل على أجزاء من ديوان العزابة أو الأشياخ في مكتبة قطب الأئمة ببني يسجن، رقـم المـج في خزانـة المخطوطات: و2/2، المسطرة: 20 × 14.5 سم، خ: مغربي مقروء مداد بني العناوين بمداد برتقالي، وهي السادسة عشر في المج، وهي مـن 204و إلى 210و. نا: أحمد بن إبراهيم المُصعبي[1].ت.ن: الخميس من شعبان سنة ستة و ثمانين بعد ثمان مئة (886هـ)، م.ن: المسجد الجديد بجربة (تونس).

*ترميم وإكمال الخرم في حواف الورق بخط لعله للشيخ محمـد بـن أبي القاسم بن يحيى بن أبي القاسم المصعبي الغرداوي المعروف بحمو والحـاج، وفي 217 بياض، فيها تمليكة باسم الشيخ سعيد بن علي الجربي.

**الورقة الأخيرة من إكمال المرمم الشيخ محمد بن أبي القاسم بن يحيى بن أبي القاسم المـصعبي الغـرداوي المعـروف بحمـو والحـاج، (ولـد 1045هـ/1635م- ت: 1129هـ/1716م)، شيخ غرداية كانت له حلقة علم

[1] - يبدوا أنه كان طالبا بالجامع الجديد بجربة أو شيخ المسجد أو من النُساخ، للأسف لم أجد تعريفا له بين كتاباته.

كما اشتغل بالتأليف، ونسخ المخطوطات النفيسة وفي بعض مكتبات مزاب منسوخات بخط يده[1].

2.النسخة (ب): موجودة لدى عشيرة آل فضل ببني يسجن، رقمها في فهرس المخطوطات هو:[خ.م.004/شخ5] 93ص، الفهرس من إنجاز جمعية التراث القرارة، غرداية، رمضان 1416هـ/فيفري 1996.* ثماني(08)ق، 26س، م: 222 x 162مم، كامل، خ: مغربي مقروء أسود وبرتقالي، 12ضمن مج به 99ق، من 92ظ إلى 99ظ، **عليها تعليقات وتفسير للكلمات الصعبة بمداد برتقالي، *** أخذ اسم نا وت.ن من كتب المجموعة لتشابه الخط، **** يسبق القصيدة في 92و آخر الرد على المازني الذي قدح في صحة نكاح المزابي، *****في 99ظ فائدة تاريخية في ذكر تاريخ وفيات بعض مشائخ الإباضية لعلها كانت منقولة عن كتب السير، ******في 92ظ "يرجع لعمر بن الطالب محمد بن عمر"[2]، نا: موسى بن عمر بن يعقوب بن موسى بن عيسى عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/18م ت: حوالي 1208هـ/1794م منشأ مكتبة آل فضل، وهو الذي أوصى بحبسها، وفي المكتبة أزيد من ثلاثين كتابا من نسخ يده، كما

---

1 - ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج4 ص 760، قلت لقد رفع هذه النسخة سببان: أولهما أن النسخة تم ترميمها من قبل الشيخ العالم حمو والحاج، وثانيهما أن لها تمليكة تعود للشيخ العالم سعيد بن علي الجربي ولا شك أنهما اطلعا عليها.

2 - هو آخر من تولى مهمة حفظ خزانة المخطوطات قبل أن تنتقل إلى دار العشيرة، توفي سنة 1943م.

نسخ بعضها بجربة بالجامع الكبير حينما كان بها طالبا ينهل من معين مدارسها.

3.النسخة (ج): د.نا و د.ت.ن، مخ بمكتبة السيد حاج سعيد محمد بغرداية، المسطرة: 230 x 160مم/ كامل، خ: مغربي مقروء، مداد بني، العنوان والتشكيل بمداد برتقالي، *لم ترد في المج، من 01و إلى 19و، ولقد اعتمدت هذه النسخة لاعتبارات منها:

أولاً- الخط الذي كتبت به قديم نسبيا مقارنة بالنسخ التي تليها.

ثانيا - إقامة النص ودقته بما يوحي إلينا كون كاتبها شخص عالم أو ناقلها من نسخة صحيحة، وفي هذا يقول د. محمد عبد السلام هارون: "... قد توجد نسخة أخرى خالية من إشارات العلماء ولكنها تمتاز بأنها أصح متنا وأكمل مادة، يظهر ذلك لدارسها وفاحصها ... "[1].

4.النسخة (ن): وهي محفوظة في خزانة مخطوطات الشيخ الحاج محمد بن يوسف بيانو بمكتبة الشيخ صالح لعلي ببني يسجن، نا: سليمان بن بكر مطّهري المليكي، * تعرفت على نا بمقارنة الخطوط، ** دون ت.ن، *** نا. ولد: 1297هـ/1862م-توفي 1368هـ/6 ديسمبر 1948م، قلت لعله نسخها في الثلاثينيات حيث كان قد خصص أوقاته لنسخ كتب شيخه قطب الأئمة "كالذهب الخالص" و"شرح النيل"[2].

---

[1] - ينظر: فن تحقيق النصوص ونشرها، د محمد عبد السلام هارون، ص37.

[2] - ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج3 ص 408.

**** تشبه ن. (ب) إلى حد كبير في المتون والهوامش حتى الفائدة التاريخية المذكورة في آخر ن. (ب) تكررت في هذه ن. مما يدفعني إلى الشك في أن صاحب ن.(ن) قد نقلها حرفيا عن ن.(ب)، م: 215 x 155مم، خ: مغربي مقروء، مداد بني، تشكيل وشروح على الهوامش بمداد برتقالي.

5.**النسخة (د)**: ترجع لسالم بن يعقوب ورد توقيع إلى الهامش يرجع للباحث صالح بوسعيد "هذه النسخة تفضل بإعارتها لنا الشيخ سالم بن يعقوب في جزيرة جربة وقال أنه قد نسخها بنفسه من عدة نسخ بالقاهرة وذلك سنة 1936م وأنا بدوري صالح بوسعيد..."، *هذه مخ. صورة طبق الأصل وليست مخ أصلية، قلت لعل صالح بوسعيد أرجعها لصاحبها الشيخ سالم بن يعقوب بعد أن قام بتصويرها لنفسه، **نا ولد:1321هـ/1903م وتوفي: 1408هـ/1988م، وهو محقق في التاريخ، زار جربة ومصر وأقام بمصر مدة خمس سنوات من سنة: 1933م/1938م فنسخ من وكالة الجاموس بطولون –حيث كان يقيم– نصيبا وافرا كما نسخ عدة نصوص من المكتبة الوطنية بالقاهرة، خ:مغربي مقروء، بها هوامش أسفل الصفحات لشرح الكلمات والإحالات أين يظهر بأنه نقلها من عدة نسخ أخرى، م.آ في البيت 212، موجودة بمكتبة القطب، يوجد شرح لبعض الأماكن على الهوامش من كتاب "التبيان" لرأفت بيك[كذا] .

6.النسخة (ل): بخط بهون علي حاج سعيد بن حاج علي، موقَّعة " ... عدد أبياقما ثلاث مائة وأربعة وسبعون، وذلك بمدينة البليدة 12 جمادى الأولى من عام 1369هـ/1949م، *على كراس مخطط/ كامل/ موجودة بمكتبة دار إروان بالعطف (تجنينت)، ** مصورة بحوزة الباحث، خ: مغربي مقروء واضح، مداد أسود.

7.النسخة (هـ): بخط عمر بن الحاج يوسف عبد الرحمان بمكتبة القطب بتاريخ: ذي القعدة 1377هـ/1957. * م.آ في البيت 166، خ: مغربي واضح/ يكثر من ذكر الإحالات على نسخ أخرى لكنه لم يذكر للأسف أصحابها.

8. النسخة (و): بخط الحاج سعيد حاج محمد بن باحمد، ت.ن: الإثنين 18شعبان 1401هـ/02 جويلية 1981م، موجودة بمكتبة دار إروان بالعطف، في كراس مخطط كامل، خ: مغربي مقروء، * يمكن اعتبار هذه ن. آخر نسخة مخطوطة كتبت بخط اليد، لأنها جاءت في تاريخ متأخر.

إلاَّ أن النسخ الثلاثة الأولى قد تغنينا عن بقية النسخ، لكن لا بأس من ذكرها هنا للتأكيد على كثرتها وتوافرها في خزائن المخطوطات الخاصة والعامة، وهي أيضا دليل على احتفاء الشيوخ ـ رحمهم الله ـ بنسخ المخطوطات لأنفسهم ولمن يقرأها وينتفع بها بعدهم، وحرصا على أن لا تضيع العلوم وتندثر، ويقول أحد النُسَّاخ في ذلك:

"...على يدنا نسخها لنفسه ولمن ينتفع بها ويعمل بمضمونها، الراجي عفو ربه وغفران ذنوبه..."[1].

ولعل من دلائل شيوع القصيدة الحجازية وتداولها بين الناس ما ذكره صاحب النسخة (د) من أنه نقلها من عدة نسخ أخرى بالقاهرة، كما أن النسخة (أ) والنسخة (ب) قد كتبتا بالجامع الجديد بجربة (تونس)، ولا يستبعد وجود نسخ أخرى مخطوطة ببلدان غير الجزائر كليبيا وعُمان والبلاد الأوربية.

ولا يزال أصحاب هذه النسخ يولون الاهتمام والعناية بها، ولعلي أشير هنا إلى الجهود المبذولة التي لا تُنكر لجمعية التراث بغرداية في حفظ وصيانة المخطوطات عبر وادي مزاب، وذلك من خلال عملها المضني وفهرستها لخزائن المخطوطات من أجل تسهيل العمل على الباحثين والمحققين.

من فوائد رحلة الوارجلاني:

إن لكل رحلة مهما صغرت فوائدها المتنوعة، ومن هنا فإنه لا يمكن اعتبار رحلة الوارجلاني عادية كسائر رحلات الاستكشاف، لأن صاحبها عالم مجرِّبٌ وقد شرَّق في الأرضِ وغرَّب، لذلك فإنَّ ما تحمله رحلته من فوائد لا يستهان بها، ولعلَّ منها الجغرافية والتاريخية والدينية والثقافية، ناهيك عن الأدبيَّة ...

[1] - هذا توقيع صاحب النسخة (و)، من نسخة مصورة بحوزة الباحث.

ولعل الفائدة التاريخية هي التي أطلعنا عليها الشيخ من خلالها على امتداد بعض القبائل البربرية والعربية وانتهاء أصولها، فحين كانت الجغرافية من خلال ما أطلعنا عليه الوارجلاني من المواضع والأماكن التي تمتد بين وارجلان ومصر والحجاز عبر الفيافي والقفار، حتى إن منها ما قد أغفله أصحاب المعاجم و لم يذكروه في مؤلفاتهم.

أما الفائدة الاجتماعية فقد أطلعنا الرحالة على طبائع الأقوام والجماعات في كل منزلة من منازل الطريق تقريباء كأهالي جرمة وفزان وقصر زلة ومصر..، وما كان له من طرائف مع طاقم السفينة وفي مكة مع طالبي المكوس، وكذا ذكر المواطن التي يقطنها الصعاليك وقطاع الطرق.

في حين كانت الفائدة الدينية، تتمثل في تفصيل الوارجلاني في مناسك الحج من الإحرام إلى الطواف والسعي انتهاء بالنحر بعد النزول من عرفات..

كما وعظَ وأدَّبَ وذلك من خلال حديثه عن خصال التاجر الأمين وعن طرق كسب المال الحلال.

في حين كان التصوير الأدبي، يتمثل أساسا في نظم قصيدة طويلة من 374 بيت، وظف فيها البيان والبديع، كما أحسن وأجاد في وصف الفرس والإبل[1] ...كما وأثر فينا رثاءه البديع للغرقى[2]، حيث أحسن توظيف

[1] - القصيدة الحجازية (مخ) بحوزة الباحث، الأبيات 256 – 259.

[2] - نفسه، الأبيات 152 – 166.

الاقتباس من القرآن الكريم، وفي هذا دليل على ترسخ العقيدة الإسلامية في الوارجلاني...

لقد أبدع في الأغراض الأدبية عموما وفي غرضي الفخر والمدح[1]، أين ذكرنا بقصائد المتنبي وأبي تمام، وتأمل توظيفه للشعر الذي يحمل شكوى الزمان والحال[2].

لقد أنهى الشيخ قصيدته بشعر حكمي ووعظي بليغ ومؤثر، مختوم بالدعاء، فكانت بحق كثيرة الفوائد كما وصفها بذلك الدرجيني، وجمعت من الأغراض: البديع والوصف والمدح والفخر والرثاء والحكمة والشكوى... وغيرها كثير، وقَلَّ ما تجتمع مثل هذه الأغراض في قصيدة مُطوَّلة من ذلك العصر.

---

[1] - نفسه، الأبيات 314- 318.

[2] - نفسه، الأبيات 319 – 322.

الرموز المستعملة ودلالاتها الاصطلاحية:

المج. : المجموع.

نا. : ناسـخ

ت.ن : تاريخ النسخ.

م.ن : مكان النسخ .

ن. : نسخـة

* : ملاحظـة

مخ : مخطوط

[كذا] : هكذا ورد في الأصل.

م : مقـاس

س : سطـر

خ : خـط

ج : جـزء

ق : ورقـة

و : وجـه

ظ : ظهـر

م.آ : مبتور الآخر

ط.ح : طبعة حجرية

القصيدة الحجازية

[01 و

01	عَذِيرِي عَذِيرِي[1] مِـــنْ ذَوَاتِ الْمَعَـــاجِرِ[2]	ذَوَاتِ الْعُيُونِ[3] النُّجْلِ بِيضِ الْمَحَـــاجِرِ[4]
02	ذَوَاتِ الشِّفَاهِ اللُّعْسِ[5] بِالظَّلْمِ[6] وَاللَّمَـــا[7]	غَرَائِرَ[8] خُرْقِ الـــصُّنْعِ سُـــودِ الغَـــدَائِرِ[9]
03	نَواعِمَ لَمْ يَعْرِفْنَ مَا بُـــؤْسَ[10] عِيـــشَـــةٍ[11]	كَوَانِسَ[12] فِي الأَظْلَالِ[13] مِثْـــلُ الْجَـــادِرِ
04	فَدَعْ عَنْكَ رَبَّـــاتِ الحِجَـــالِ[14] وَذِكْرَهَـــا	وَعَدِّ[15] إِلَـــى ذِكْـــرِ الحَجِـــيجِ الْمُـــسَافِرِ
05	خَرَجْنَا نَؤُمُّ الشَّرْقَ[16] مِنْ حِيزِ[17] وَارجلَانَ[1]	بِفِتْيَانِ صِدْقٍ مِـــنْ وُجُـــوهِ العَـــشَائِـــرِ[2]

---

[1] – قول الشاعر: عذيري عذيري، لعله يريد: اعتذاري اعتذاري أو أعذروني أعذروني.

[2] – أما قوله: من ذوات المعاجر = فهو يعني به النساء.

[3] – أما النجل = الواسعة.

[4] – المحاجر = ج محجر حيث يقع القناع.

[5] – اللعس = سواد في الشفتين مستحسن.

[6] – الظلم = بريق الأسنان.

[7] – اللما = سواد في الشفتين أيضا.

[8] – غرائر = ج غر، حسن الخلق.

[9] – الغدائر = الظفائر، لقد بدأ الشيخ أبو يعقوب قصيدته بغزل رقيق على طريقة الشعراء الجاهليين وأصحاب المعلقات، كما فعل " كعب بن زهير " في مطلع قصيدته " بانت سعاد "، فليس الغزل هنا مقصودا في حد ذاته ولم يكن يريد به شخصا معينا، بل أراد أن يبدأ كما تُبدأ القصائد الطوال أو المطوّلات، فبعضها طللي والآخر غـزلي وهكذا.

[10] – في ن. (هـ)، (و)، (د)، (ل) = بؤس.

[11] – في ن. (هـ) = نعمة.

[12] – ج كناس، مرقد الظبي.

[13] – في ن. (ب)، (ج)، (د)، (هـ)- الأطلال، والجنادر = بقر وحشي.

[14] – ربات الحجال = النساء.

[15] – عَدِّ = انتقل.

[16] – الشرق = يريد المشرق أو أرض الحجاز حيث بيت الله الحرام.

[17] – الحيز = الصحراء.

06 جَرِيُــــونَ[3] جَوَّابُــونَ كُــلَّ تَنُوفَـــةٍ[4] يَحَارُ[5] بِهَا هَادِي القَطَـا[6] المُتَـصَادِرِ[7]

07 يَؤُمُّ[8] بِنَا زَهْــوًا ويَـسْمُوا بِطَرْفِــهِ[9] أَبُو تَغْلَبٍ[10] كَالـصَّقْـرِ جَــلَّ لِنَـاظِرِ

08 بِـصُيَّابَـةٍ[11] مِــنْ خَيْـرِ كُــلِّ قَبِيلَــةٍ وَلاَسِيَمَا مِنْهُم[12] هِــلاَل بْــن عَامِــرِ

09 كِــرَامٌ وَأَبْنَــاءُ الكِــرَامِ وَسَــادَةٌ كِــرَامُ الفِعَــالِ وَالعُــلاَ وَالمَآثِــرِ[13]

10 تَرَى مُضَرَ الحَمْرَاءَ[14] تَغْـزُو[15] وَتَنْتَمِـي تُـشِيرُ إِلَــيْهِمْ بِالنَّــدَى وَالمَفَــاخِرِ

11 هُمْ زَهْــرَةُ الدُّنْيَــا وَبَهْجَــةُ أَهْلِهَــا وَسَادَةُ[16] أَهْــلِ الغَــرْبِ بَــادٍ وَحَاضِــرِ

12 وَمَغْــرَاوَةُ[1] عُلْيَــا زَنَاتَــةَ[2] كُلِّهَــا وَغَيْرِهِمْ[3] مِــــنْ خَيْــرِ أَهْــلِ الجَزَائِــرِ

[01 ظ]

[1] – ورد في ن. (د) وارجلا وفي غيرها: وارجلان – وهي كورة بين إفريقيا وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات يسكنها قوم من البربر. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث بيروت، ط4، 1995، ج4 ص453.

[2] – يريد وجهاء القوم من وارجلان.

[3] – حاسرون.

[4] – الصحراء.

[5] – يذهل.

[6] – طائر من نوع اليمام يضرب به المثل في الاهتداء، يقال: فلان أهدى من قطاة.

[7] – العائد من الموارد.

[8] – يتقدم ويقود.

[9] – عينه.

[10] – في ن. (ج)، (د)، (هـ): تغلب، قلت لعله مرشد أو دليل القافلة، للأسف فإن الشيخ لم يفصل في ذكر نسبه.

[11] – جماعة من الخيل.

[12] – في كل ن. ورد: منها، وهلال بن عامر من قبيلة لوّاتة سكنوا مصر والمغرب.

[13] – يريد الإيثار.

[14] – قبيلة من معد بني عدنان يقال لهم "الحمراء"، ذلك لأنهم حصل لهم من المال آنية الذهب.

[15] – تشير.

[16] – في ن. (د)، (ن): سادات، الراجح عندي أن المقصود من الغرب هو شمال غرب أفريقيا.

13 لَدَى الكَعْبَةِ البَيْتِ الحَرَامِ وُجُوهُهُمْ عَلَى قُلُصٍ[4] خُوص[5] العُيُونِ ضَوَامِرِ

14 جَوَافِلِ[6] أَمْثَالِ الشَّيَاطِينِ[7] بُدَّنٍ وَمِثْلِ الحَنَايَا[8] مِنْ حَنَايَا القَنَاطِرِ

15 قلاَئِصَ نَتْجَ الأَنْتُجِ الخَيْرُ نَتْجُهَا[9] يُبَارِينَ فِي البَيْدَاءِ قَفْرَ[10] اليَعَافِرِ[11]

16 رَحَلْنَا وَأَزْمَعْنَا الرَّحِيلَ رِكَابَنَا إِلَى عَيْنِ صولَة[12] عِجَاب[13] تَفَاكُرِ[14]

17 لِبَحْرَيْنِ[15] بَحْرِ مَالِحٍ وَسْطَ رَمْلَةٍ وَرَمْلٍ كَأَمْثَالِ البِحَارِ الزَّوَاخِرِ[1]

---

1 - بطن من زناتة انتشر في شمال إفريقيا وهم بربر.

2 - زناتة فهي أكبر قبيلة بربرية وهي بطن من لوّاتة يعيش أكثرها بالمغرب، وقد سكن بعضها البُحيرة بالديار المصرية على النهر، بين الإسكندرية والعقيق الكبير ببرقة.

3 - في ن. (د)، (ن): غيرهما.

4 - القُلصُ من الجمال: الضوامر ومنقبضة البطون.

5 - في ن. (هـ)، (ن): خلص، أما الخَوَصُ فهو صغر العينين.

6 - نوافر وشوارد.

7 - يريد الخيمات.

8 - الحنايا = الأقواس، قلت لا شك أن هذا التشبيه من بيئة الأندلس إذ لا وجود للقناطر في بيئته بوارجلان.

9 - في ن (هـ): كلها؛ قلائص ج قلص أي منقبضات البطون، والقلائص من الإبل بمنزلة الفتاة من النساء.

10 - في ن. (ب)، (هـ)، (ل) = عفر، يريد الشديدة والقوية.

11 - هي الغزلان، تلاحظ أن الشاعر ينوع في استعمال الوصف وتشبيه الجمال، فمرة جعلها عجافا ضامرات البطون مثل حنايا القناطر، ومرة جعلها تسابق حمر الوحش في الصحراء، وهو بهذا هذا يحيلنا إلى وصف طرفة بن العبد لناقته في داليته المعروفة، ولعلي لا شك أن الشاعر قد اطلع على معلقات الشعراء بل حفظها ووعاها أيضا وإلا فمن أين له مثل هذا الوصف البديع.

12 - في كل النسخ: صولية؛ وعين صولية = لعلها مدينة صول وهي قرية على النيل في أول الصعيد، وقد قصد بها المشرق عموما، فأورد الجزء إشارة إلى الكل. ينظر: معجم البلدان، ج3 ص211.

13 - في كل النسخ: عجافا؛ وهو يريد أنهم ركبوا جمالا ضامرة وهي التي يعتد بها لقطع الفيافي والقفار لسرعتها.

14 - في ن.(ج)، (د)، (و) = لباكر، وفي ن.(ب)، (ن)، (هـ) = لفاكر؛ قلت لعله يريد لمن يتذكر.

15 - موضع بحثته في معاجم البلدان فلم أجده، وقد ورد على هامش النسخة (د): " بحرين- مكان بفزان يعرف براد الآحال تسكنه قبائل من البربر ومن العرب كالطوارق وقبيلة الحجاج، وغربي هذا الوادي بحيرات ماءها ملح

18	كَمَا عَزَفَتْ بِيضُ الدُّمَى[4] بِالمَزَامِرِ	وَتَعْزِفُ[2] فِيهِ الجِنُّ[3] فَوْقَ رُؤُوسِنَا
19	تَـؤُمُّ تَلَمْسَنَّا[5] بِنَا كَالشَّخَاتِرِ[6]	سُفَيْنَنَا وَرُوِّيَنَا وَسَارَتْ رِكَابُنَا
20	بِأَجْبَالِهَا[9] والآلُ[10] مِثْلُ البَحَائِرِ	كَأَنَّ قُرُونَ[7] الرَّمْلِ صَارَتْ تِهَامَةً[8]
21	تَطِيرُ بِنَا مِثْلَ السِّهَامِ الطَّوَائِرِ[12]	إِذَا مَا قَطَعْنَا مَهْمَهًا[11] بَعْدَ مَهْمَهٍ
22	بِرَاحِلنَا عَطْشًا ظُهُورُ المَفَاقِرِ[14]	وَمِنْ دُونِ مَاءِ الزَّعْفَرَانِ[13] تَقَطَّعَتْ
23	رَوَاجِلَ[1] صِدْقٍ يُسِّرَتْ لِلْمُعَاسِرِ[2]	تَنَادَوْا[15] لَهَا الفِتْيَانُ فَذًّا وَتُوأَمًا[16]

تحيط بها رمال من كل جهة وأعظم هذه البحيرات بحيرة بقبر عون أو بحيرة فرعون، حولها قوم يسمون "الدوادة" لاصطيادهم ديدان البحيرة يستقون بمائها"، قلت لعله الراجح.

[1] – المتعاظمة الموج.

[2] – تصوت.

[3] – لعله يريد الريح.

[4] – النساء العازفات

[5] – في ن (هـ): تلمسانًا، لعله موضع لم أجده، أمّا تلمسين فهو المرجُ أو السهل، وهذا الأخير هو الأصوبُ عندي.

[6] – الشخاتر – ضرب من مراكب البحر.

[7] – في ن. (ب) – عروق، في ن. (د) – رؤوس.

[8] – يريد مثل جبال تهامة في العلو والارتفاع.

[9] – هي جبالها، وهي من الجموع الغريبة.

[10] – الآلُ – السراب.

[11] – المفازة البعيدة، والأرض القفر الخالية.

[12] – المنطلقة.

[13] – تشير بعض هوامش النسخ إلى كونه موضعا، لكني لم أتوصل إليه مع طول بحث.

[14] – في ن. (و)، (ل)– اليعافر، في ن. (هـ) – البعائر، يريد المطايا كالجمال.

[15] – في ن. (ن)، (هـ)– تنادى.

[16] – الفذُّ – الفردُ وتوأمًا – مثنى، يريد أنهم تنادوا لذلك الموضع مثنى وفرادى.

24	يَقُودُهُمُ البِكْرُ الأُحَيْمِـــرُ[3] صَـــادِرًا[4]	يُوَائِـــلُ[5] كَالهِقْـــلِ[6] المُجِيـــفِ[7] المُبَـــادِرِ
25	فَلَمْ يَـــكُ الأَمْثَـــلُ قَوْلُـــكَ لاَ بَـــلاَ	أَتُـــونَا بِـــمَاءٍ نَاقِـــعٍ فِـــي الحَنَاجِـــرِ[8]
26	وَبِتْنَـــا بِـــمَاءِ الزَّعْفَـــرَانِ نَجُمُّـــهُ[9]	كَـــأَنَّ نِـــسَاءً لُطِّخَـــتْ بِالزَّعَافِـــرِ
27	فَلأْيًا بِلأْيٍ[10] مَـــا ارْتَوَيْنَـــا[11] وَأَسْـــرَعَتْ	إِلَى جُغْـــرَافٍ[12] وَارِدَاتٍ[13] الـــزَّرَازِرِ[14]
28	لَدَى مُلْتَقَى الجَمْعَيْنِ جَمْـــعِ زَهَانَـــةٍ[1]	وَجَمْـــعِ بَنِي فُرْكَالٍ[2] أُسْـــدِ البَرَابِـــرِ

---

[1] - في ن. (د) - رواحل.

[2] - في ن. (هـ) - للمعاشر.

[3] - البكر الأحيمر - البكر أي الفتيّ من الإبل، والأحيمر نسبة إلى لونه الأحمر.

[4] - في ن. (ب) - سادرًا.

[5] - في ن. (ب) - يوالف، في ن. (ج) - يوابل، وفي ن. (ب)، (ن) العجيف، يوائل = يسرع ويبادر.

[6] - الهقلُ - هو الظّليمُ أو ذكر النعام.

[7] - المجيف - الجارف أو السريع.

[8] - يريد أن ليس هنالك من كلام صائب سوى أن يقول المرء: أعطونا ماءً نبلل به حناجرنا.

[9] - نجمّه - يريد نملأ منه حتى فاضت أوعيتها لشدة ما أدركهم من العطش حتى كادوا أن يهلكوا، ثم أنهم لطخوا أنفسهم بالأوحال التي كانت معصفرة في ذلك المورد، فصاروا كأنهم نساء لطخت بالزعفران، وهو نبات أصفر يستخدم لتطييب المرق وتلوينه بالأصفر خاصة.

[10] - في ن. (ج) (د)، (ن) (هـ)- بلأيّا.

[11] - في ن. (ج)- ارتوين، يريد الجمال، وارتوينا يريد هم لم يرتووا بعد.

[12] - في ن. (ب) - جوعراف، موضع بحثه و لم أعثر عليه، قلت لعل هذا المكان شهد حربا بين قبيلتي زهانة وبني فركال البربريتين حتى أفنوا بعضهم البعض، ولعل الدليل هو من أطلعهم على المكان، أو تعرفوا عليه من خلال العظام.

[13] - واردات - تريد الموارد.

[14] - الزرازر- لعله أراد جمع الزارة وهي قرى طرابلس الغرب، وهي أيضا بالصعيد قرب قفط، ولعلها زرزا قرية بالصعيد الأدنى بينها وبين الفسطاط يومان في غربي النيل، وأرجحها أن تكون الأولى لأنه لم يفصّل بعد في مواضع أخرى قبل أن يصل مصر.

ينظر: معجم البلدان، ج2 ص 492.

29 تَسَاقَو كُؤُوسَ المَــوْتِ وَالقَتْــــلِ بَيْـــنَهُمْ وَدَارَتْ عَــلَيْهِمْ دَائِــرَاتُ الدَّوَائِـــرِ[3]

30 تَلُـــوحُ عِظَـــامُ الهَـــالِكِينَ كَأَنَّهَــــا أَدَاحِيُّ[4] قَبْضِ[5] البَيْضِ وَسْطَ القَرَاقِـرِ[6]

31 أَصَبْنَا بِهَا أَشْــلاَءَ لَمْطَـةَ[7] عُزَّبًـــا[8] مَغِيظَتُهَا[9] فِــي كُــلِّ أَخْـضَرَ نَاظِــرِ

32 مُجَابَـــةُ[10] تَجْلــزَّامَ[11] أَيُّ مُجَابَــــةٍ لَهَا حَاجِزَانِ بَـيْنَ رَمْـــلٍ وَحَـــاجِرِ[12]

33 جَــزَى اللهُ عَنَّـــا جِرْمَــــةَ[13] وَبِلاَدَهَـــا وَفَزَّانَ[14] خَيْرًا شَـــاكِرًا غَيْـــرَ كَافِــرِ

34 هُمْ أَوْسَعُونَا[15] مَــا اسْــتَطَاعُوا بِخَيْــرِهِمْ وَعَافِيَـــةٍ جَلَّـــتْ وَمِـــنْ تَمْـــرٍ تَامِــــرِ

---

[1] – زهانة: قبيلة بربرية سكنت شمال إفريقيا.

[2] – بني فركال: هي قبيلة بربرية أيضا كما ذكر الوارجلاني، لكني لم أجد لها أثرا فيما بحثت.

[3] – لعل هذا المكان شهد حربا بين وبني فركال البربريتين حتى أفنوا بعضهم وما دله على الموقع هو عظام الموتى ولعله سمع بالحرب قبله، ثم لما شاهد العظام تذكر الحادثة أو أن الدليل هو الذي دلهم عليها.

[4] – الأداحي = بيض النعام..

[5] – القبض = القشور.

[6] – القراقر = الصّحاري، لاحظ الوصف البديع لمشهد بقايا العظام وسط الرمال، فلطول مكوثها في الشمس صارت كقشور بيض النعام ناصعة البياض.

[7] – لمطة = أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب، يقال للأرض والقبيلة معا "لمطة"، معجم البلدان، ج4 ص 182.

[8] – عزبا = وحيدة لا أحد معها.

[9] – في ن. (ج)، (ن)، (و) = مغيظها أي ناقصها! في ن. (ب): من كل.

[10] – مجابة موضع = لعلها صحراء.

[11] – تجلزام = موضع بحثته ولكن دون جدوى.

[12] – حاجر = أرض ذات حجارة، هذا البيت سقط سهوا من النسخة (أ).

[13] – في ن. (هـ) = جربة. وجرمة = قصبة بفزان (ليبيا) في الجنوب فتحها عقبة بن نافع الفهري ؤ. معجم البلدان، ج2 ص42.

[14] – فزان = (ليبيا حاليا) ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب ومدينتها زويلة السودان بها نخل وتمر كثير، معجم البلدان، ج3 ص433.

[15] – أوسعونا = أنعموا وأجزلوا العطاء بخيرهم وعافية كانت أعظم من تمر وفير.

35 وَكَانَتْ تَبَسْتُو[1] مَنْزِلاً نَزَلْتُ بِهِ وَرَاحَتْ إلى سَبْهَا[2] وَسُهْنَا[3] وَمَاطِرِ[4]

36 وَجَازَتْ عَلَى زُدَّيجِ[5] وَهِيَ مَشِيحَةٌ[6] إلَى مَنْزِلِ العُبَّادِ[7] ذَاتِ الفَقَائِرِ

37 وَقَدْ هَرَجَ[8] الهَارُوجُ[9] مِنْهَا سِمَانَهَا[10] وَمَرْمَرَهَا[11] زُدَيْجُ[12] كُلَّ المَرَامِرِ

38 فَلَمَّا أَنَخْنَاهَا[13] إلَى قَصْرِ زَلَّةٍ[14] أَنَخْنَا إلَى قَوْمٍ هُمَامٍ[15] مُغَاوِرِ[16]

39 إلَى سَيِّدٍ يُعْطِي الجَزِيلَ وَيَنْتَمِي إلَى سَيِّدِ النَّاسِ الكِرَامِ الأَكَابِرِ

40 أَبَا نَائِمٍ[1] لاَزِلْتَ فِي الدَّهْرِ نَائِمًا وَلاَزِلْتَ مَحْرُومَ السَّحَابِ المَوَاطِرِ

[02 و]

---

[1] - تبستو - موضع بصحراء فزان، معجم البلدان ج1 ص431.

[2] - سبها - حاضرة من حواضر ليبيا في الجنوب إلى اليوم.

[3] - سهنا - موضع قريب منه أيضا.

[4] - ماطر - موضع لم أجده أيضا، في ن. (ن) - فاكر، في ن. (و) - باكر، وفي ن. (ج)، (د) فاطر.

[5] - زديج في ن. (هـ) - دريج، موضع لم أجده.

* البيت 035. لم يرد في ن. (أ) لعله سقط سهوا أثناء نسخ المخطوط.

[6] - مشيحة - سريعة.

[7] - ورد في هامش ن.(ب)، (ن) - قصر يقال إنه لأفقر الفقهاء، قلت لعله في قوله الفقائر أراد الفقراء، موضع لم أجده.

[8] - هرج - أضعف

[9] - الهاروج - جبل عظيم بصحراء فزان، لم أجده في المعاجم.

[10] - في ن. (ن)، (هـ) -سمامها، قلت لعل الأصح سمالها فهي تعوذ بلا شك على العير التي أهزلها وأضعفها كثرة العدو.

[11] - مرمرها - اهتزت واضطربت حتى أهزلها، ربما يرجع ذلك لطوله ولصعوبة السير فيه.

[12] - في ن. (ن)، (هـ): دُريج، ولعله تصغير لدَرَج وهو موضع، كذلك زُديج - جبل بفزان لم أجده أيضا.

[13] - أنخناها -زجرناها لتبرك، وأنخنا بالجمال - نزلنا.

[14] - سبق التعريف به، ينظر: معجم البلدان، ج2 ص489.

[15] - في ن (ج) (د) (ه) (ن) -قرم، والهمام- السيد، ومن معانيه العظيم.

[16] - في ن (و) - مغامر، مُغاور- كثير الغارات على أعدائه.

41 فجَـــالوُا[2] وَأزْرُقِيَّـــةَ[3] وَبِلاَدَهَـــا وَزِيـــدَاهَا[4] كُـــلاًّ قَطَعْنَـــا بِخَـــافِرِ[5]

42 وَسَـــارَتْ تَبَـــارًا[6] فِي تَبَـــارًا كَأَنَّهَـــا نَعَائِم[7] هُجْلٍ رُعْنَ مِـــنْ صَـــوْتِ ذَاعِـــرِ

43 فَيُجْهِضْنَ[8] بِـــالأَوْلاَدِ فِـــي كُـــلِّ مَنْـــزِلٍ نَزَلْنَـــا بِـــهِ[9]، يُودِعْنَهَـــا بِـــالقَرَاقِرِ[10]

44 خَرَجْنَا بِهاَ شَـــوْلاً وَأَصْـــبَحْنَ حـــوَلَلاً[11] شَـــوَائِلَ[12] بِالأَذْنَـــابِ غَيْـــرَ خَـــوَاطِرِ

45 حَفَرْنَـــا وَأَجْهَرْنَـــا وَمُحنَـــا[13] زِقَاقَنَـــا[14] وَنَحْـــنُ وُقُـــوفٌ فِـــي ظُهُـــورِ الأَبَـــاعِرِ

---

1 – أبا نائم = لا أدري من المقصود بهذا الاسم، قلت لعله نعت لشخص، حيث يحيلنا في بنائه إلى بيت في هجاء أبي مسلم الخرساني صاحب الفضل في قيام الدولة العباسية، وهو: أبا مسلم لا زالت سالما ولست عما قليل بسالم.

2 – •في هامش ن (هـ) ورد جالوا: واحة في صحراء ليبيا عامرة إلا الآن، ينظر: معجم البلدان ج2 ص 21.

3 – موضع في ليبيا لم أستطع ضبطه.

4 – زيدان = اسم قصر هكذا. ينظر: معجم البلدان ج2 ص 492.

5 – في ن (ب)على الهامش =بغافر، والخافرُ الحارس الحامي، قلت لعله يريد أنهم استجاروا بمن نزلوا عندهم حتى يأمنوا لهم الطريق ويكونوا حراسا لهم.

6 – تبارا الأولى= ذاعرات، أمّا تبارا الثانية = وسط العسكر والحراس، في ن هامش ن. (ب) تبارا = كمن تسابق في سيرها، وفي هامش ن. أخرى هو موضع.

7 – نعائم: يريد نساء ناعمات.

8 – يجهضن= يُسقطن ما يجوفهن من الصغار، في ن. (ج) (د) = ويجهضن.

9 – في ن. (ب)= نزلن، قلت هي هنا للسِّياق.

10 – القراقر = هدير البعير، قرقر.

11 – في ن (د) (ب) =جفلا في ن (ج)=حوفلا، في ن (ن)= حُفّلا، وجفل = فزع وخاف، أي فخرجنا من ذلك الموضع خُيالاً.

12 – شوائل= أي رافعات أذنابهن غير خواطر أو خافضات.

13 – حفرنا وأجهرنا ومُحنا، ألفاظ خاصة بالبئر قصد إخراج مياهها الصالحة للشرب، والمحن= إخراج طينها وترابها.

14 – زقاق =ج زق دلو أو نحوه يستخدم لنقل الماء والطين من البئر، ولعلهم استعملوا ظهور الجمال لسحب الدلاء من البئر كما كانت العادة في البوادي والصحاري.

46	عَلَى مَاءِ الأَنْـوَامِ[1] أَبْتَلَلْنَـا بِلاَلَنَـا[2]	وَصِـرْنَا شَرِيحٌ مُسْتَمِيحٌ[3] وَخَـافِرِ[4]
47	وَأَصْبَحَ بِئْـرُ ابْـنِ الْمُكَسِّرِ رَاوِيًـا	لأَصْـحَابِهِ يَنْحُونَـهُ بِـالْجَرَائِرِ[5]
48	تَخَـالُ مَطَايَانَـا لَـدَى سَـنْتَرِيَّةٍ[6]	وَقَدْ جَفَلَتْ مِنْهَـا سِـمَانَ الْمَقَـائِرِ[7]
49	وَصِـرْنَا إِلَى مَـاءِ الْوَطِيَّـةِ[8] نُزَّعًـا	تُرِيدُ بِنَـا أَلْـوَاحَ[9] مِـصْرَ الأَمَاصِـرِ[10]
50	نَزَلْنَا عَلَـى مِـصْرَ وَفِيهَـا نُجُومُهَـا[11]	عَلِـيٌّ[12] وَعَبَّـاسٌ[13] حَلِيفَـا الْمَفَـاخِرِ

---

[1] - ماء الأنوام هكذا في الأصل: موضع لم أجده في معجم البلدان ولا في هوامش النسخ.

[2] - ابتللنا = ظفرنا وأدركنا، بلالنا =دوائنا وشفائنا يقولون ليس هناك أبلّ من كذا أي أنفع وأنجع للجسم من كذا.

[3] - في ن (هـ)= سريحي مستميحا، في ن (ج)، (ن)، (د) = شريحا مستريحًا، أي خاليا من الشوائب.

[4] - خافر= عليه حراس وحماة.

[5] - ابن المكسر= للأسف لم أقف على الموضع و لم أجد له شرحا، إلاّ أن الناس صاروا ينحونه بالجرار والدلاء، وهنا تستوقفنا خصلة من خصال أهل البادية وهي التعاون على إنشاء مواضع سقي القوافل في الصحراء، فلقد ساهموا في إصلاح البئر و لم يمضوا حتى كان الناس قد آووا إليها، وصارت مفزعا وملاذا آمنا لكل عابر سبيل.

[6] - سنترية = بلد غربي الفيوم دون غزال السودان من أرحل إلى سنترية عشر مراحل في الصحراء ورمال قليلة الماء ومن سنترية إلى بنهسا الواحات عشر مراحل وإلى غير بمنسا السعير، ينظر: معجم البلدان ج3ص77.

*على هامش ن(د) سنترية = مدينة بمصر وهي المعروفة اليوم بأسيوط داخلة في حدود الإسكندرية مما يلي صحراء طرابلس [كذا]، قلت لا أستبعد شروح صاحب هذه النسخة لأنه أقام بمصر خمسة سنوات من 1933 إلى 1938 حيث نسخ هذه المخطوطة سنة 1936 من عدة نسخ أخرى، وقد ذكرت في المدخل وذلك أثناء تفصيلي في النسخ المعتمدة في البحث.

[7] - في ن (ب) (هـ): المغابر، وفي ن (ج): العقابر.

[8] - في ن (ج) = الوطينة، وفي ن (د) (هـ) المطية، "وهي قرية بمصر بها بئر يقال أن المسيح اغتسل منها، وفي حواشيها الشمالي إلى عين الشمس القديمة مختلطة رأيتها ..." ينظر: معجم البلدان، ج 4 ص 282

[9] - ألواح= ج واح، على غير قياس ثلاث كور غربي مصر، ينظر: نفسه، ج4 ص282.

[10] - الأماصر = المدائن.

[11] - في ن (د) (ب): شموسها.

[12] - علي: للأسف لم أجد له أثرا، قلت لعله من وجهاء مصر وقد جعل الشاعر يمدحه على كرمه الحاتمي.

[13] - عباس: هو الآخر لم أجد له تعريفا، إلاّ أنهما يبدوان أخوان ومسؤولان ساميان.

51	عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ نَسِيبَا رَسُولِنَا[1]	سَبِيلُهُمَا فِي الخَيْرِ مِن سَعْدِ ظَافِرِ[2]
52	عَلِيٌّ عَلِيٌّ[3] فَوْقَ رَاسِ عَدُوِّهِ	وَعَبَّاسُ عَبَّاسٌ[4] هَزْبَرُ الهَزَابِرِ[5]
53	شَكَوْنَا إِلَيْهِمْ حَاجَةً بَرَحَتْ بِنَا[6]	وَخِفْنَا فَوَاتَ الحَجِّ إِنْ لَمْ نُبَادِرِ
54	فَلَبَّوا وَقَالُوا مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِكُمْ	فَجَادُوا كَوَسْمِيِّ السَّحَابِ[7] البَوَاكِرِ
55	وَنَادَوْا بِكَافُورِ الزَّمَامِ[8] مُجَهَّزًا	وَأَثْنَوْا بِبَدْرِ الدَّوْلَةِ المُتَجَاسِرِ[9]
56	وَفِي بِرْكَةِ الجُبِّ[10] اسْتَرَاحَتْ وَفَوَّزَتْ[11]	وَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ شَيَاطِينُ[12] زَاغِرِ[13]
57	تُرِيدُ بِلاَدَ التِّيهِ[1] مِنْ بَحْرِ قُلْزُمٍ[2]	إِلَى عَيْنِ مُوسَى[3] مُسْتَرَادِ الأَخَاسِرِ

1 - نسيا = قريبا، رسولنا = الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، لعله يريد أنهما فاطميان أو علويان.

2 - في ن. (ب)، (ن) = أسعد ظافر، وفي ن (د) (ج)= من سعد ظاهر.

3 - في ن. (هـ)، (ن) = علاء، وهو المقصود في قوله علي علي = أي علي علاء.

4 - عباس الثانية = شديد.

5 - الهزبر = الشديد من الأسود، يذكرنا هذا البيت بآخر لأبي العتاهية مادحا:

عباس عبَّاس إذا احتدم الوغى   والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيع.

6 - في ن. (ن) لنا، شكونا: يريد أعلنا وأوضحنا، برحت = شقت علينا، نبادر = نسارع.

7 - في ن. (ج) = كرسي، في ن. (ب)، (هـ)، (ن)، (د)، = للسحاب، والوسمي المطر الخفيف الذي يسم الأرض بالرذاذ.

8 - في ن. (د)، (ن) الزمان، في ن (ج) = المتفاخرون (د)، (ن)، (هـ)، (و)، (ل)، قلت لعله يقصد بقوله: نادوا أي أثنوا بما كان من خير كافور الإخشيدي لأنه كان حيا قبل الوارجلاني بقرون حوالي 357هـ /967م، ولا يعقل أن يدركه شاعرنا، فهو بذلك نعت لأحد نجوم مصر السالفين علي وعباس، أين نعت الأول بكافور والثاني ببدر الدولة.

9 - في ن. (ب)، (د)، (ج)، (هـ) = المتفاخر.

10 - بركة الجب = موضع لم أحده.

11 - في ن. (ب)، (ج)، (هـ) = فوزت.

12 - الشياطين = الإبل.

13 - في ن. (ب) = ذاعر، وفي ن. (ن) = زاعر.

53 رَمِينَا رُكَيْلَ العَبْدِ[4] لَيَّةَ يُمْنَةً ... إلَى طُورِ سِينَا[5] تَنْتَحِي لِلْمَيَاسِرِ

59 مُؤَلَّلَةَ[6] الآذَانِ مِنْ خَوْفِ إيلَةٍ ... يَهَابُ بِهَا الحُجَّاجُ جَمْعَ الأَكَافِرِ[7]

60 وَبَحرِيَةٍ[8] لاَ قَدَّسَ اللهُ جَمْعَهُمْ ... وَعَايَدَهَا[9] مِثْلَ القُرُودِ الأَبَاتِرِ[10]

61 لَقَيْنَاهُمُ[11] سُودَ الوُجُوهِ أذِلَّةً ... غُرَاةً مِنَ الإِسْلاَمِ أَفْجَرَ فَاجِرِ

62 جِبَالُكِ يَا حِسْمَى[12] جِبَالٌ مَنِيعَةٌ ... وَحَقْلٌ[13] وَقَبْرُ الشَّيْخِ مَجْرَى[14] الحَنَافِرِ

---

1 - التيه = هي أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم، الغالب عليها الرمال...، ينظر: معجم البلدان، ج1 ص473.

2 - بحر القلزم: هو اليوم البحر الأحمر، ينظر: معجم البلدان ج4 ص80.

3 - عين موسى: موضع لم أجده.

4 - في ن. (هـ) = ركيات الغرندل يمنة، وفي ن. (ن) = ركيل الغرندل يمنة، هذه مواضع بحثناها فلم أجد لها أثرا، أنى قليتها على اختلافها بين النسخ، رمينا = أردنا، ركية = المكان المنظم القائم البناء.

5 - طور سيناء = هو المكان الذي كلم الله فيه موسى، بصحراء سيناء بمصر.

6 - مؤللة = ألّل حدد وصوب لعله يريد أن المطايا مصوبة الآذان، كمن يخشى محظورا والإيلة: الغيلة والخدعة.

7 - في ن.(ج)، (ن) الأصافر، في ن. (ب)، (د)، (هـ)، (و): الغطافر. الأكافر= يريد الكفار، الغطافر = ج غطفر وهو المتكبر؛ يخاف الحجاج من جمع متكبر وعادة ما يكون المتكبر متسلطا وناقما على غيره.

8 - بحرية = جماعة من البحارة أو الملاّحين؛ لا قدس الله جمعهم = دعاء بالشر بأن يفرق ويشتت الله جمعهم.

9 - في ن. (ه) = وعائدها، وفي ن. (د) = وعائلها؛ عَايَدها = أرجعها وحوَّلها.

10 - القرود عديمة الأذناب.

11 - في ن. (ج) = أتيناهم، في قوله لقيناهم يريد التقينا بهم على شاطئ البحر؛ سود الوجوه = الراجح أن الشاعر يذمهم ويقدح فيهم بوصفهم بسود الوجوه، قلت ولعلهم كانوا زنوجًا في أصل بشرتهم.

12 - منيعة =حصينة، حسمى "...أرض ببادية الشام بينها وبين واد القرى ليلتان وأيلة قرية من واد القرى، مملوءة جبالا في كبد السماء ..." ينظر: معجم البلدان ج2 ص148؛ لعلك لاحظ تطابق وصف الشاعر للجبال مع ما أورده ياقوت الحموي في معجمه.

13 - في ن.(ب)، (ن)= وحقلٌ، وفي ن.(هـ) =وحفلٌ؛ حقل = لعله موضع لم أجده، أو يريد الأرض المنبسطة.

14 - في ن. (ب)، (هـ)، (د)، (ن)، = مُحيي، وفي ن. (ج) = مجز؛ قبر الشيخ= لعله موضع، بحثه ولكن دون جدوى.

[02 ظ]

63 وَلَمَّــا وَرَدْنَــا مَــاءَ مَــدْيَنَ[1] وَارْتَــوَتْ وَسَارَتْ لِــوَادِ الــدُّومِ[2] ذَاتِ المَــوَاقِرِ[3]

64 وَعَيْنُونَــةٍ[4] وَالتَّبْــكِ[5] بَعْــدَ عُوَيْنَــةٍ[6] وَأَكْــرِم بِفَــيْضِ مَــشْرِبَ فِي الغَرَائِــرِ[7]

65 وَفِي بَلْدَةِ الحَوْرَاءِ[8] طَــابَ لَنَــا الكَــرَا[9] أَمنًــا وَفَــارَقْنَــا بِهَــا كُلَّ كَــافِــرِ

66 وَأَوْدِيَةِ اليَنْبُــوعِ[10] أَزْهَــتْ وَأَخْــصَبَتْ عَلَى كُــلِّ وَادٍ مِــنْ تِهَامَــةَ غَــائِرِ[11]

67 مِنَ العَــسَلِ المَــادِيِّ[12] وَالتَّمْــرِ وَالنَّــوَى وَسَمْنٍ وَلَحْــمٍ، لَــحْمِ ضَــأْنٍ وَبَــاقِرِ

---

1 – ماء مدين = على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل عن أبي يزيد، قال القاضي أبــو عبــد الله القضاعي: " مدين وحيزها من كورة مصر القبلية ..."، وقال الحازمي: "بين واد القرى والشام.."، وقيل: " مدين اتجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل ..." ينظر: ياقوت ج4 ص224؛ قلت إن مثل هذا الاختلاف في تحديد بعض الأماكن وبُعدها عن بعضها البعض، صعَّب علي كثيرًا في رسمها على الخريطة.

2 – واد الدوم = موضع لم أجده.

3 – في ن.(ج)= الأواقر، المواقر = يريد ذات الأحمال الثقيلة أي الإبل.

4 – عينونة = هي عينون على لهجة المصريين، قرية من وراء البثنة من دون القلزم في طرف الشام، قال البكري: "هي قرية يطؤها طريق المصريين إذا حجُّوا "، ينظر: ياقوت ج3 ص371.

5 – التبك = موضع لم أجده.

6 – عوينة = لعله يريد تصغيرا لعينونة أو عينون.

7 – في ن.(ب)، (ج)، (ن) = الغوائر.

8 – قال القضاعي: " هي كورة من كور مصر القبلية ..."، وقيل: " الحوراء مرفأ سفن مصر إلى المدينة، وقد أخبرني من رآها سنة 626 هـ، وقد ذكر أنها ماءة مالحة وبها أثر قصر مبني بعظام الجمال وليس بها أحد ولا زرع ولا ضرع.." ياقوت ج2 ص192.

9 – الكرا = النوم.

10 – ينبوع = أو ينبع مدينة على شاطئ البحر تقابل المدينة، لمن كان منحدرا من المدينة إلى الساحل؛ أزهت وأخصبت = لعله يريد أن بساط الأرض تغير وجهه بتغير المناخ وذلك لقرب تلك المواضع من شاطئ البحر ولدبيب الحياة فيها.

11 – في ن.(د) = عامر.

12 – في ن. (ج)، (د) = المديّ، في ن. (هـ)= المرى، المادي = السائل.

68 وَحَادَتْ[1] عَلَى الدَّهْنَاءِ[2] وَالرَّمْلِ حيدَة وَبَدْرٍ وَبَزْوَاءِ الغَطَاطِ النَّوَافِرِ[3]

69 وَجَازَتْ عَلَى الصَّفْرَاءِ[4] وَهِيَ سَرِيعَةٌ وَمَرَّتْ عَلَى الرَّوْحَاءِ[5] مِثْلَ الضَّرَائِرِ

70 وَأَمَّتْ[6] صُخَيْرَاتُ[7] اليَمَامِ ويَلْيَلٍ[8] وَذَاتِ السَّيَّالِ[9] فَالعَقِيقُ[10] فَغَائِرِ[11]

71 إِلَى قَبْرِ خَيْرِ الخَلْقِ مِنْ نَسْلِ آدَمِ أَبِي القَاسِمِ[12] النُّورِ المُبِينِ المُوَازِرِ[13]

72 عَلَيْهِ سَلَامُ اللهِ بَدْءاً وَعَوْدَةً وَصَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مُعْطِي الذَّخَائِرِ

73 وَصَلَّى عَلَى أَصْحَابِهِ وَبَنَاتِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَالطَّيِّبَاتِ الطَّوَاهِرِ

74 فَلَمَّا أَتَيْنَا ذَا الحُلَيْفَةِ[14] عَوْدَةً جَأَرْنَا وَلَبَّيْنَا بِصِدْقِ الضَّمَائِرِ

---

[1] - في ن. (ب) حادت = مرت مسرعة؛ الدهناء = الفلاة؛ بدر = موقع الغزوة الأولى من غزوات الرسول ρ. البزواء = قرب المدينة بلدة بيضاء مرتفعة من الساحل بين الجار وودّان وغيطة. ينظر: ياقوت، ج1 ص 325.

[2] - في ن.(هـ) الغبراء = الصحراء، وهي أيضا الصفراء، الروحاء = الصحراء أيضا أو الفلاة، الضرائر = الضياء.

[3] - في ن. (هـ)= السوافر، الغطاط = موضع لم أجده. لعله أراد القطاط قرية هكذا. ينظر: ياقوت، ج4 ص67.

[4] - الصفراء = الصحراء لاصفرار رملها.

[5] - في ن. (ب) = الدوحاء، في ن. (ج)، (ن) = الحوراء، في ن. (هـ) = الحمراء.

[6] - في ن. (ن) = آبت أي رجعت.

[7] - صخيرات = تصغير لصخراء؛ اليمام = في الإقليم الثاني بينها وبحرين عشر أيام. ينظر: ياقوت الحموي، ج4 ص64.

[8] - يليل = اسم قرية قرب وادي الصفراء قرب المدينة لها عين كبيرة وتصب في البحر عند ينبع. ياقوت، ج4 ص504.

[9] - ذات السيال = موضع لم أجده.

[10] - العقيق = الذي ببطن ذي الحليفة بناحية المدينة، فيه نخل وعيون. ينظر ياقوت ج3 ص34.

[11] - غائر = موضع لم أجده.

[12] - هو الرسول محمد ρ.

[13] - الموازر = يريد الذي يلتجأ إليه أو فيما معناه.

[14] - ذا الحليفة = قرية بينها وبين المدينة ستة أو سبعة أميال ومنها ميقات أهل المدينة وموضع الإحرام لحجاج المغرب.

75 إِلَهَنَا دَعَوْنَا اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ   عَجِيجَ[1] النِّسَاءِ المُثْكَلَاتِ العَوَاقِرِ

76 فَمِنْ بَيْنِ مَهْمُومٍ حَزِينٍ لِذَنْبِهِ   وَآخَرَ مُشْتَاقٍ إِلَى اللهِ صَائِرِ[2]

77 وَآخَرَ يَدْعُوا اللهَ يَرْجُوهُ حَاجَةً   يُلَجْلِجُهَا فِي نَفْسِهِ[3] غَيْرَ قَاصِرِ

78 وَكُنَّا تَجَرَّدْنَا لَهَا عَنْ مَخِيطِنَا[4]   عُرَاةً، وَجَنَّبْنَا صِبَاغَ العَصَافِرِ[5]

79 وَخُفًّا وَشَمَّ الزَّعْفَرَانِ وَمَسَّهُ   وَوَرْسًا وَهَاجَرْنَا[6] جَمِيعَ المَعَاطِرِ

80 وَحَرَّمَ عَلَيْنَا[7] القَمْلَ وَالصَّيْدَ وَالخَنَا[8]   وَفِعْلَ الفُسُوقِ وَالغَوَانِ الخَوَادِرِ[9]

81 وَصِرْنَا إِلَى مَاءِ الأَثَايَةِ[10] جُفَّلاً   تَسِيلُ لَنَا الأَمْطَارُ[11] فَوْقَ المَحَاجِرِ

82 سِرَاعًا إِلَى السُّقْيَا وَهَرْشَا وجحْفَةً   وَمَاءِ غَدِيرٍ ثُمَّ جَمِّ الغَدَائِرِ[12]

83 وَلَمَّا رَأَيْنَا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ[1]   بَكَيْنَا اشْتِيَاقًا لِلنَّبِيءِ المُهَاجِرِ

---

1 - في ن. (ج) - هناك دعونا الله جل ... بالعجيج - رفع الصوت من الألم؛ المثكلات - اللاتي فقدن أولادهن؛ والعاقر - التي لا ولد لها، يريد أن الناس يدعون ربهم ويتضرعون كالمرأة التي ولدت طفلا وكان وحيدها فأضاعته، وفي هذا تصوير بديع.

2 - في ن. (ج)، (ن)، (د) - صابر.

3 - في ن. (ج) - لنفسه، يُلجلجها - يرددها؛ غير قاصر - يريد غير فاتر ولا مقصر.

4 - في ن. (ب) وتجنبنا عن مخيطنا - يريد لبسوا ثياب الإحرام التي من شرطها أن تكون غير مخيطة.

5 - صباغ العصافر - صباغ أحمر ضارب إلى الصفرة.

6 - في ن. (ن) - وجنبنا.

7 - في ن. (ب)، (هـ)، (ن)، (ب) - عنّا.

8 - الخنا - الفساد؛ الغوان - ج غانية التي استغنت بجمالها عن الزينة، ويقصد المتعففات.

9 - الخوادر - المستترات.

10 - في ن. (ب)، (هـ)، (ن) - الأثالة، وفي ن. (د): الأثية - موضع قرب المدينة اسمه أثلة ولعله المقصود.
ينظر: ياقوت، ج1 ص82.

11 - الأمطار - يريد الدموع وهي تسيل بغزارة كالأمطار.

12 - في ن. (ب) - هرش؛ جحفة - موضع لم أجده؛ ماء غدير - عذب؛ في ن. (ب) قديد في ن. (ج) - جم

84 أَتَانَا أَبُو البَسَّامِ[2] يَسْحَبُ لِحْيَةً ... إِلَى المَكْسِ[3] يُخْزًا فِي الوَرَى كُلَّ عَاشِرِ

85 وَكَانَ أَبُو البَسَّامِ أَعْظَمَ لِحْيَةً ... وَأَنْقَصَ عَقْلاً مِنْ كِلاَبٍ شَوَاغِرِ[4]

86 وَلَوْلاَ الَّذِي اسْتَرْعَاهُ مِنْ نَسْلِ هَاشِمٍ[5] ... سُلاَلَةَ آبَاءٍ كِرَامِ العَنَاصِرِ

87 لأَصْبَحَ مِثْلَ القِرْدِ قُبْحًا وَخِسَّةً ... وَأَشْأَمَ يَوْمَ الشُّؤْمِ مِنْ شَوْمٍ نَاشِرِ[6]

88 فَيَا هَاشِمٌ أَضْحَتْ سَنُوكَ بِمَكَّةَ ... وَأَكْنَافُهَا أَعْيَادُهَا فِي الأَعَاصِرِ

89 فَإِنْ هِيَ طَالَتْ طَوَّلَ اللهُ أَمْرَهَا ... تَتِيهُ عَلَى الدُّنْيَا بِقُدْرَةِ قَادِرِ

90 وَكَانَتْ بَقَايَا عِيسِنَا قَدْ تَسَعْسَعَتْ[7] ... وَوَلَّتْ هُزَالاً غَيْرَ غُبْرٍ جَرَائِرِ[8]

91 وَقَدْ حَلَّهَا طُولُ الرَّوَاحِ وَمَنُّهَا[9] ... وَطُولُ الغُدُوِّ وَالسُّرَى وَالهَوَاجِرِ[10]

92 فَلَمْ يَبْقَ لِلرَّائِينَ[11] إِلاَّ خَيَالُهَا ... وَإِلاَّ عُيُونٌ كَالْقُلاَتِ الغَوَائِرِ[12]

93 فَمَا بَلَغَتْ عُسْفَانَ[13] حَتَّى تَوَفَّرَتْ[14] ... وَعَادَ لَهَا حِلْمٌ كَحِلْمِ الأَكَابِرِ[1]

---

1 - في ن. (ب) - خيمة؛ أم معبد - لم أجده؛ الشوق إلى قبر الرسول ومدينته.

2 - لم يرد في القصيدة تفسير لنسبه، قلت هو مكّاس دون شك.

3 - المكس ضريبة تفرض على متاجر السوق.

4 - شغار الكلب - رفعه رجله حتى يتبرّز.

5 - استرعاه - حفظه ووقاه كونه هاشمي وهي سلالة كريمة الأصل.

6 - في ن. (ب) - قاشر، أشد يوم البلاء من بلاء المُلحّ في السؤال وهو القاشر.

7 - العيس - جماعة من الإبل؛ في ن. (ج) - تعسعست، يريد تشتت.

8 - في ن. (ج) - حرائر، حرائر - نجيبات؛ غُبر - لون أغبر وهو من ألوان المطايا.

9 - حلها - أعيادها، في ن. (د) - ملها، يريد أملها وأتعبها.

10 - السرى - السعي بالليل؛ الهواجر - ج هاجرة، منتصف النهار إلى العصر.

11 - الرائين - المبصرين لها؛ خيالها - كناية عن هزلها وضعفها.

12 - القلات - ج قلت، نقرة في صخرة، من شدة إعيائها وضعفها ضمرت وغارت عيونها.

13 - عسفان - منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة على 36 ميلا من مكة. ينظر: ياقوت، ج3 ص327.

14 - في (ب)، (هـ) - توفّرت، لعله يريد استقر حالها.

[03 ر]

94	وَكَـادَتْ تُلَبِّـي[2] تَحْتَنَـا فِي رُغَائِهَـا	وَأَبْدَتْ خُشُوعًا مُبْهَمَـاتُ الجَرَاجِرِ[3]
95	وَحَـقَّ لِمَـنْ قَـدْ سَـارَ سِـتَّةَ أَشْـهُرٍ	مِنَ الغَـرْبِ حَتَّـى زَارَ أَبْـيَضَ زَاهِـرِ[4]
96	بِـأَنْ يَـسْتَرِحْنَ بَـلْ تُعفَـى مُتُونُهَـا[5]	مَدَى الدَّهْرِ بَلْ يُعْتَقْنَ عَنْ حُكْمِ جَـازِرِ[6]
97	وَلَمَّـا انْتَهَيْنَـا[7] نَحْـوَ كَعْبَـةِ رَبِّنَـا	بَكَيْنَـا وَجُـدْنَا بِالـدُّمُوعِ البَـوَادِرِ
98	تَـسُحُّ عَلَـى الخَـدَّيْنِ وَبْـلاً وَدِيمَـةً[8]	وَتَنْهَـلُّ مِثْـلَ اللُّؤْلُـؤِ المُتَنَـاثِرِ[9]
99	وَقَفْنَـا وَكَبَّرْنَـا المَلِيـكَ إِلَهَنَـا	مَعـاً، وَاسْـتَلَمْنَا بِـالأَكُفِّ الطَّـوَاهِرِ
100	عَلَـى الحَجَـرِ الأَسْـوَدِ[10] وَاللهُ شَـاهِدٌ	عَلَـى مَاسِـحِيهِ عَـالِمٌ بِالـسَّرَائِرِ
101	وَقُلْ أَيُّ شَـيْءٍ كَـانَ أَعْلَـى شَـهَادَةً[11]	قُـلِ اللهُ رَبِّـي وَهُـوَ أَكْـرَمُ غَـافِرِ
102	وَطُفْنَـا لَـدَى البَيْـتِ العَتِيـقِ ثَلاَثَـةً	وَأَرْبَعَـةً مَـشْيًا عَلَـى كُـلِّ عَـامِرِ[12]
103	أَتَيْنَـا المَقَـامَ[13] حِـينَ تَـمَّ طَوَافُنَـا	إِلَى رَكْعَتَيْـهِ وَارِدًا بَعْـدَ صَـادِرِ

[1] – الأكاسر – ملوك الفرس.

[2] – تلبي – تصرخ مستغيثة.

[3] – في ن. (ب)– الجرائر، وفي ن.(هـ) – الجراجر، الجراجر – ج جرجر – هدير البعير.

[4] – أبيض زاهر – لعله يريد الحرم المكي وأرض الحجاز عموما وفي هذا البيت دليل على مدة الذهاب.

[5] – في ن. (ن) – تعفْ، تعفى – تعتق؛ متولها – ظهورها.

[6] – جازر – القاسي، قلت لعله يريد لا يذبحن عند الجزار، بل يطلق سراحهن.

[7] – انتهينا – وصلنا؛ البوادر – التي تنطلق دون قيد من شدة الفرح.

[8] – في ن. (ب)، (د) – تسوح، يريد تسيل؛ الوبل – المطر الغزير؛ الديمة – المطر الضعيف.

[9] – المتناثر – يريد مثل اللؤلؤ الذي انقطع سلكه فتناثر.

[10] – الحجر الأسود في ركن الكعبة، يمسح الحجاج عليه بأيديهم تبركا ويقبلونه عملا بسنة النبي الكريم محمدρ.

[11] – اقتباس من القرآن الكريم " قل أي شيء أكبر شهادة بيني وبينكم " / الأنعام الآية 19.

[12] – في ن. (د) – عابر؛ عامر – يريد معتمر البيت الحرام. سقط هذا البيت سهوا من ن. (ب) ربما أثناء النسخ.

[13] – هو مقام إبراهيم الخليل، يصلون فيه ركعتين من مناسك الحج.

104 وَصِرْنَا إِلَى مَاءِ الحَيَاةِ بِزَمْزَمٍ ... وَجِئْنَا الصَّفَا وَالْمَرْوَ رَاسَ الْمَشَاعِرِ[1]

105 سَعَيْنَا وَهَرْوَلْنَا بِبَطْنِ مَسِيلِهِ[2] ... وَنَتْبَعُ آثَارَ الوَحِيدَةِ هَاجَرِ[3]

106 وَفِي عَرَفَاتَ مَا اعْتَرَفْنَا[4] ذُنُوبَنَا ... وَنُحْنَا[5] عَلَى أَرْوَاحِنَا لِلْكَبَائِرِ

107 وُقُوفًا عَلَى الأَقْدَامِ حَتَّى تَغَيَّبَتْ[6] ... وَحَتَّى تَوَارَتْ بِالحِجَابِ الْمُسَاتِرِ

108 نَنُوحُ وَنَبْكِي تَارَةً وَلَرُبَّمَا ... خَرَرْنَا عَلَى الأَذْقَانِ خَرَّ العَثَائِرِ[7]

109 كَأَنَّ حَنِينَ السَّائِلِينَ إِلاَهَهُمُ ... رَنِينًا بِجَوفِ اللَّيْلِ، صَوتُ القَثَائِرِ[8]

110 وَبِتْنَا بِجَمْعٍ[9] وَازْدَلَفْنَا لِرَبِّنَا ... وَبِتْنَا بِهَا حَتَّى الصَّبَاحِ بِبَاكِرِ[10]

111 وَقَفْنَا وَغَلَّسْنَا[11] الصَّلاَةَ وَبَعْدَهَا ... أَفَضْنَا إِلَى صِهْرِيجِ سِتِّ الحَرَائِرِ[12]

112 وَجُزْنَا عَلَى وَادِ الْمُحَسِّرِ[1] شُرَّعًا ... سِرَاعًا بِسَيْرٍ نَافِذٍ غَيْرِ فَاتِرِ[2]

---

[1] - زمزم - البئر المعروف إلى اليوم، أما الصفا والمروة فهما من شعائر الحج، وفيه اقتباس من قوله تعالى: " إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما " البقرة، 156.

[2] - في ن. (ج) - بُطين مسيلة.

[3] - سعوا وهرولوا بين الصفا والمروة تماما كما فعلت هاجر مع ابنها إسماعيل كما تذكر ذلك قصص الأنبياء.

[4] - في كل ن. - لا توجد (ما)، يريد لم نعرف ذنوبنا لكثرتها.

[5] - في ن. (ن)، (هـ) - بالكبائر؛ نحنا - بكينا؛ الكبائر - المهلكات من الذنوب.

[6] - وقفوا في عرفات حتى غياب الشمس وتوارت عن الأنظار و الحج عرفة.

[7] - في ن.(هـ) - العشائر؛ في ن. (ب)، (ن)، (د) - العثائر، النَّوح - شدة البكاء؛ خررنا - سقطنا؛ العثائر - الجبابرة.

[8] - القثائر - يريد صاحب الضائقة والأزمة.

[9] - جُمع - هي المزدلفة والمشعر سمي جُمع لاجتماع الناس به؛ ازدلفنا - اتجهنا، والمزدلفة بجمع الصلاة بعد النزول من عرفات.ينظر: ياقوت، ج2 ص76.

[10] - في ن. (ب)، (د)، (ج) ورد: وبتنا حتى.

[11] - في ن. (ب) غسَّلنا، غلّسنا - انتظرنا حتى غَلَسَت وَأَظلمَت، والغَلَسُ بداية الظلمة.

[12] - صهريج ست الحرائر - هو مسرى ماء زبيدة زوجة هارون الرشيد. ينظر: ياقوت، ج3 ص212.

113 بَلَغْنَا المُنَــا لَمَّــا انْتَهَيْنَــا[3] إِلَــى مِنًــى[4] وَرَمْــيِ الجِمَــارِ بِالحَــصَى المُتَطَــايِرِ

114 عَلَــى تَفَــثٍ[5] لَــمْ نَقْــضِهِ وَثِيَابُنَــا ثِقَالٌ عَلَى الأَجْــسَادِ، شُــعْثِ الغَــدَائِرِ[6]

115 وَنَحْلِقُ شُعْثَ الــرُّوسِ[7] لَمَّــا تَفَرَّغَــتْ مَنَاسِــكُنَا مَــا بَــيْنَ ذَبْــحٍ وَنَــاحِرِ[8]

116 وَجِئْنَــا إِلَــى بَيْــتِ الحَــرَامِ نَــزُورُهُ فَيَا طَيْــبَ مُــزْدَارٍ وَيَــا خَيْــرَ زَائِــرِ[9]

117 وَلَــمْ يَبْقَــى لِلْحُجَّــاجِ شَــيْءٌ يَهُمُّهُــمْ مِنَ التَّفَــثِ المُقْــضَى[10] أَوْ نَــذْرِ نَــاذِرِ

118 وَذَاكَ بِحَمْــدِ اللهِ رَبِّــي وَخَــالِقِي قَــضَيْنَا وَوَفَّيْنَــا جَمِيــعَ المَــشَاعِرِ

119 فَكَــانَ أَبُــو الرَّيَّــانِ[11] شُــكْرًا مُيَمِّمًــا فَــأَكْرِمْ بِــهِ بَــلْ بِــالجَمِيعِ العَــوَامِرِ[12]

120 عَفَــا اللهُ عَمَّــنْ حَــجَّ وَازْدَارَ مُخْلِــصًا وَجَنَّــبَ أَفْعَــالَ الــرَّدَى وَالمَنَــاكِرِ

121 فَلَمَّا انْقَضَى مِنْ حَجِّنَــا مَــا انْقَــضَا لَنَــا فَطُفْنَــا وَوَدَّعْنَــا بِأَسْــبُعِ صَــادِرِ[13]

122 دَعَانَــا إِلَــى الأَوْطَــانِ شَــوْقٌ مُبَــرِّحٌ يُهَــيِّجُ حَاجَــاتِ النُّفُــوسِ الــذَّوَاكِرِ[1]

[03 ظ]

[1] - المحسر = بين مكة وعرفة واد برأسه ...ينظر: ياقوت، ج4 ص212.

[2] - شرَّعا = منطلقين؛ نافذ = متواصل.

[3] - القتائر = يريد صاحب الضائقة والأزمة.

[4] - المنى = ما يتمنى المرء؛ منى = بلدة على فرسخ من مكة تعمر في المواسم... ينظر: ياقوت، ج4 ص320.

*لاحظ الجناس بين مُنى ومِنى وفي هذا دليل على تمكن الشاعر من ناصية اللغة.

[5] - اقتباس في قوله على تفث لم نقضه "ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق". الحج، آية 29.

[6] - في ن. (ب)، (ن) = ثقالا؛ الشعث = الغبار والتلبد في الشعر؛ الغدائر =ذوائب الشعر.

[7] - في ن. (ج) = الرؤوس، وفي ن. (ن)، (ب)، (هـ) = الراس، ولعل الأولى أسلم للوزن.

[8] - تفرغت = انتهت، وهو الإيذان بانتهاء المناسك حين ذبح الغنم ونحر الجمال.

[9] - عادوا إلى البيت العتيق، مُزدار = المضيف، زائر = الضيف.

[10] - في ن (د) = المقضي، وفي ن. (ن)، (ب)، (هـ)= المقضاء؛ وفيه إشارة إلى الآية السابقة من سورة الحج.

[11] - وفي ن. (ن)، (ج)، (هـ) = أبو الذَّبان، وفي ن. (ب)، (هـ)= ميمَّنا؛ لعله كان إمامهم لذلك أثنى عليه.

[12] - العوامر = عمار البيت الحرام.

[13] - انتهاء فترة الحج حيث طافوا الأسواق، قلت لعله بقي لهم أسبوع حتى يرحلوا.

123 وَطَارَتْ[2] عُقُولُ النَّاسِ نَحْوَ بِلاَدِهِمْ فَغَنُّوا[3] لَهَا طَرْدِيَّةَ الْمُتَزَاوِرِ

124 فَلاَ تَسْمَعُ الآذَانُ إِلاَّ هَيَا هَيَا[4] وَهُو هُو وَهِي هِي بِالضُّحَا وَالأَسَاحِرِ

125 يَمُدُّ بِهَا صَوْتًا يُهَمْهِمُهَا[5] بِهِ يُرَدِّدُهَا فِي دَاخِلاَتِ الشَّرَاشِرِ[6]

126 كَأَنَّ فُؤَادِي يَوْمَ فَارَقْتُ مَكَّةَ أَخُو نَشْوَةٍ[7] أَوْ عِنْدَ لَيْثِ الْمَقَاصِرِ[8]

127 ضَعِيفُ الْقُوَى بَادِي[9] الصَّبَابَةِ هَائِمٌ شَجِيُّ الْهَوَى وَاهِي الْعُرَى وَالْبَصَائِرِ[10]

128 إِذَا ذَكَرَتْهَا الْعَيْنُ فَاضَتْ دُمُوعُهَا وَإِنْ ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ لَمْ تَتَصَابَرِ

129 وَكُنَّا تَفَرَّقْنَا كَأَيْدِي سَبَا سَبَا[11] عَبَادِيدَ[12] شَتَّى[13] بَيْنَ ثَاوٍ وَسَائِرِ[14]

130 فَمِنْ بَيْنِ ذِي بَرٍّ يُحَاوِلُ عَوْدَةً عَلَى بُدْنَةٍ[15] بَحْرِيَّةٍ أَوْ مُجَاوِرِ[1]

---

1 - استحكم فيهم شوق شديد نحو أوطانهم وتلك عادة المسافر؛ الذواكر = النفوس المشتاقة.

2 - طارت = طاشت عقول الناس نحو أوطانهم فأخذوا يغنون شوقا إليها، شوق من يريد زيارة عزيز له.

3 - على هامش ن. (أ) ورد = المتزامر، في ن. (ب)، (ج)= فعنوا = تعرضوا.

4 - في ن. (ب) = هيا هيًا، وفي ن. (ن)، (ج)= هُو هُو هِي هِي؛ يريد أن الحجاج يستعجلون الرحيل بترديدهم مثل هذه العبارات، شوقًا إلى أوطانهم.

5 - يهمهمها = يرددها بصوت خافت.

6 - الشراشر = النفوس، يفعلون كمن يصبر نفسه.

7 - وفي ن. (ج) = نشرة، والنشوة = السكرة.

8 - في ن.(ج) = المعاصر، يصور لنا الشاعر صعوبة الافتراق بعد أن ألف المكان.

9 - بادي = ظاهر؛ الصبابة والهيام = شدة الحب والملازمة.

10 - شجي = حزين؛ واهي = ضعيف؛ العرى = القوى.

11 - يريد المثل العربي الشهير: " تفرقوا أيدي سبا " أي تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده.

12 - عباديد = ج عبد.

13 - شتى = مختلفين.

14 - ثاو = مقيم؛ سائر = منطلق إلى حال سبيله يريد وطنه.

15 - يريد: أن هناك من يحاول العودة على مركب بحري وهي القوارب وغيرها.

131 وَآخَرَ مِنْهُمْ قَاصِداً[2] نَحْوَ جِدَّةٍ[3]   لِيَرْكَبَ هَوْلَ البَحْرِ وَالمَوْتِ جَاسِرٍ[4]

132 وَجِئْنَا إِلَى بَحْرٍ شَدِيدٍ مَرَامُهُ[5]   عَصِيبٌ[6] تَعَاطِيهِ كَثِيرُ المَخَاطِرِ

133 أَدِيُّ[7] كَأَمْثَالِ الجِبَالِ أَدِيَّةٌ[8]   وَصَوْتٍ كَأَمْثَالِ الرُّعُودِ الزَّمَاجِرِ[9]

134 تَلاَطَمُ أَمْوَاجٌ وَيَفْهقْنَ تَارَةً   وَيفْغرْنَ[10] أَفْوَاهَ اللُّيُوثِ الفَوَاغِرِ

135 يُسَامِي كُبَيْدَاتِ[11] السَّمَاءِ ارْتِفَاعُهَا   وَيَنْحَطُّ يَهْوِي فِي قُعُورِ الأَقَاعِرِ[12]

136 رَكِبْنَا وَوَدَّعْنَا النَّجَاةَ بِجُدَّةٍ   عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ بِغَيْرِ دَوَاسِرِ[13]

137 فَمَا أَجْهَلَ[14] الأَقْوَامَ حِينَ تَحَمَّلُوا   عَلَى ظَهْرِ لُجِّيٍّ[15] غَوِيصٍ[16] المَغَائِرِ

138 وَلَنْ يَعْرِفَ المَرْءُ المُجَرِّبُ ذُو النُّهَى   بِنَزْوَةِ مَوْجِ البَحْرِ بَلْهَ الأَغَامِرِ

---

[1] - المجاور = من يقيم بجوار المسجد الحرام، وربما اشتغل حولا كاملا حتى يؤمن مصاريف العودة إلى وطنه.

[2] - في ن. (ب) قاصدٌ.

[3] - جدة = مرفأ قديم على البحر الأحمر شهير إلى اليوم.

[4] - هول البحر = حيث الموت ينتظر أو يتعاظم ويكثر.

[5] - مرامه = مطلبه، وتلك صفات البحر فهو لا يستقر على حال.

[6] - في ن. (ب) = عصيبٌ، وفي ن. (ج) غضبٌ.

[7] - في ن. (د) = الزآخر، الأديُّ = الأمواج، يريد أديه أي أمواجه.

[8] - في ن. (ب)، (هـ)، (ن) = أدية أي مرتفعة.

[9] - الرعود الزماجر = القوية والمدوية.

[10] - في ن. (ب) = يفقهن، يريد أن الأمواج تضطخب كأنها أسود فاغرة فاها لابتلاع شيء أمامها.

[11] - كبيدات = يريد وسط السماء ارتفاعا.

[12] - الأقاعر = الأعماق، يريد أن الموج يهوى إلى أسفل المحيط بشدة وفي هذا كناية على قوته التي تحطم المراكب.

[13] - هنا كناية عن ضعف السفينة واهترائها، فكأن ألواحها شدت بغير مسامير، وهو اقتباس أيضا من قوله تعالى: "وحملناهم على ذات ألواح ودسر". القمر 13.

[14] - أجهل = يريد أتعس.

[15] - ظهر لجي = يريد البحر.

[16] - في ن. (د)، (هـ) = عويص؛ والغائر = العميق.

139	فَلَمَّا حَصَلْنَا فِي الجَلاَئِبِ[1] وَاسْتَوَتْ	بِنَا الحَالُ أَقْلَعْنَا قِلاَعَ الحَصَائِرِ[2]
140	وَصِرْنَا كَدُودٍ[3] فَوْقَ عُودٍ تَقَاذَفَتْ	بِهِ لُجَجُ البَحْرِ الخِضَمِّ التَّهَائِرِ
141	قَنُطْنَا وَأَيِسْنَا النُّفُوسَ مِنَ الَّتِي	تَسُرُّ وَزَالَتْ تُرَّهَاتُ التَّهَائِرِ[4]
142	وَأَفْئِدَةُ الحُجَّاجِ طَاشَتْ[5] عُقُولُهَا	فَصَارَتْ هَوَاءً[6] مِنْ جَمِيعِ المَخَاطِرِ
143	وَصَارَتْ سَمَاءُ اللَّهِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا	كَلُجَّةِ بَحْرٍ مُشْرِفٍ فَوْقَ آخَرِ
144	وَسَاءَتْ ظُنُونُ النَّاسِ مِنْ خَوْفِ مَا رَأَوْا	وَكَلَّتْ رَوِيَّاتُ النُّفُوسِ البَوَاصِرِ
145	وَزَادَت يَقِينًا كُلُّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا	وَآمَنَ إِيمَانًا بِهَا كُلُّ كَافِرِ
146	وَصُمْنَا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ[7]	وَأَفْطَرَنَا قَيْءٌ ذَرِيعُ المَطَاجِرِ[8]
147	رَسَرْنَا بِهِ يَوْمَيْنِ ثُمَّ تَحَرَّكَتْ	عَلَيْنَا الرِّيَاحُ الفَاتِحَاتُ المَنَاخِرِ[9]
148	لَقَدْ أَنْذَرَ الرَّائِينَ[10] فَضْلاً بِهَوْلِهِ	عَلَى الرَّاكِبِ المَلاَّحِ بَلْهَ الاَنَاطِرِ
149	إِذَا ضَرَبَتْهُ[11] مَوْجَةٌ زَعْزَعَتْ بِنَا	فَصَكَّتْ بِجَنْبَيْهَا كَوَقْعِ السَّوَاطِرِ[12]

---

3 - في ن. (ب) – كذوذ، يريد أنهم تضعضعوا بفعل تلاطم الأمواج فصاروا كدود على عود متمسك به.

4 - يريد أن الركاب قنطوا من هول المشاهد، وحتى أصحاب النفوس المطمئنة والعزيمة الصادقة زعزعوا، واستلموا من النجاة حين أيقنوا بالهلاك.

5 - في ن. (ج) – طارت، وفي النسخ الأخرى: وصارت.

6 - فقد الحجاج كل أمل في النجاة، وفيه اقتباس من قوله تعالى: "وأصبح فؤاد أم موسى فارغا" القصص، آية 10.

7 - صام الحجاج من هول المناظر دون نية مسبقة، فهول الموقف يمنع صاحبه عن الأكل والشرب.

8 - في ن. (ب)، (د) – المضاجر، وأفطروا بقيئهم من شدة خضّ المركب لهم.

9 - في ن. (د) – رياحٌ فاتحات المناخر، ساروا على ذلك يومين ثم هبت عليهم رياح عاتية.

10 - في كل النسخ – الرئيس، قلت لعله الأصل لأنه غير واضح في النسخة الأم.

11 - في كل النسخ – ضربتها، أي إذا ضربت مركبهم موجة قوية زعزعت بالركاب، وهزت جانبي المركب.

12 - كوقع السواطر – ج ساطور، يريد أن الأمواج كانت تهوي عليهم بقوة كساطور الجزار في الحدة.

150 فَحَطَّمَ مِنْهَا جَلْبَةٌ[1] فَتَحَطَّمَتْ فَكَبَّرَ أَهْلُهَا بِكُلِّ التَّكَابُرِ
151 فَأَنْقَذَنَا مِنْهَا المَلِيكُ بِفَضْلِهِ وَأَلْهَمَنَا المَعْرُوفَ خَيْرَ الأَوَامِرِ
152 فَلَمْ يَنْجُ مِنَّا غَيْرُ أُنَاسٍ[2] قَلاَئِلِ عَلَى ظَهْرِ أَلْوَاحٍ عُرَادٍ[3] المَسَامِرِ
153 إِلَى اللهِ أَشْكُو فَقْدَ مَنْ لَسْتُ وَاجِدًا لَهُ مَثَلاً فِي سَائِرِ الخَلْقِ بَائِرِ[4]
154 وَلَهْفِي عَلَى السَّادَاتِ مِنْ آلِ عَامِرٍ[5] ذَوِي المَجْدِ وَالأَخْطَارِ[6] مِثْلَ الجَوَاهِرِ
155 وُجُوهُهُمُ مِثْلُ الدَّنَانِيرِ زِينَةٌ[7] وَأَخْلاَقُهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ الزَّوَاهِرِ
156 وَمِمَّا شَجَانِي وَاعْتَرَانِي وَهَمَّنِي فَبِتُّ بِهَمٍّ فِي الفُؤَادِ مُخَامِرِ[8]
157 مَصَارِعُهُمْ غَرَقًا[9] وَلَمَّا يُكَافِحُوا جِلاَدًا بِحَدِّ المُرْهَفَاتِ[10] البَوَاتِرِ
158 لَئِنْ غَالَهُمْ[11] رَيْبُ الزَّمَانِ بِصَرْفِهِ لَنَا الأَثَرُ البَاقِي بِحُكْمِ المَقَادِرِ
159 وَقَبْلَهُمُ مَا[12] غَالَ عَادًا وَجُرْهُمًا وَطِسْمًا وَعِمْلاَقًا[13] وَرَبَّ السَّدَائِرِ[1]

[04 و]

---

1 - في ن. (ب)، (د) = جانبا.

2 - في ن. (ب) = ناس؛ قلائل = قليلين.

3 - في ن. (ج)، (د) = عواد؛ عُراد أي قويات

4 - في ن. (ب) = سائر.

5 - آل عامر = قلت هم من قبيلة هلال بن عامر من لواتة تقدم ذكرهم.

6 - الأخطار = البواسل.

7 - شبه وجههم في الصفاء بالدنانير الذهبية فهم بذلك أصحاب أخلاق لامعة.

8 - مخامر = مسائر.

9 - في ن. (ب) = فرقًا، وفي غيرها= غرقى؛ في ن. (ج) = يطافحوا أي يقاتلوا.

10 - المرهفات = السيوف، والبواتر = القواطع.

11 - غالهم أي أهلكهم.

12 - في ن. (ب) = قد.

13 - عاد وطاسم وجرهم والعماليق = عرب بائدة، جاء ذكر بعضهم في القرآن الكريم.

160	سَــأَبْكِيهِمُ[2] مَــا عِــشْتُ حَيًّــا مُمَتَّعًــا	وَأَنْـــدُبُهُمْ طُــوْلَ اللَّيَـــالِي الغَـــوَابِرِ
161	وَأَرْثِيهِــمُ[3] دَهْــرِي وَأَنْـــشُرُ فَــضْلَهُمْ	رِيَــاضَ المَعَــانِي بِــالقَوَافِي الــسَّوَائِرِ[4]
162	تَسِيرُ مَــسِيرَ الــشَّمْسِ فَــوقَ رُؤُوسِــنَا	ويَعبَــقُ رِيَّاهَــا كَنَــشْرِ المَجَــامِرِ
163	وَتُسْعِدُنِي الــوَرَقُ الحَمَــائِمُ بِالــضُّحَى[5]	وَأُسْــعَدُهَا فِعْــلَ الخَلِيــلِ المُــسَامِرِ
164	قَلِــيلاً لِــلصَّبَّاحِ الــصَّبَّاحِ وَخِلِّــهِ	أَبِي الحَارِثِ الفَيَّــاضِ حَــامِي الأَوَاخِــرِ
165	أَبَــا جَلْهَــمٍ أَوْدَيْــتَ وَابْنُــكَ جَلْهَــمٌ	وَغَــادَرْتُمُ الــدُّنْيَا خَــلاَءً لِغَــادِرِ[6]
166	وَغَيْــرُهُمُ فوطَــاً[7] وَإِنْ لَــمْ أُسَــمِّهِ	فَــإِنَّهُمُ مِثْــلُ الــدَّرَارِي[8] الــدَّوَائِرِ
167	وَقَدْ دَرَجَتْ مِنْهَــا الغُمُــورُ فَلَــمْ تَــدَعْ	لَهَــا خَلَفًــا إِلاَّ سَــمِيرَ الغَمَــائِرِ
168	قَــضَا اللهُ مِنَّــا بِالنَّجَــاةِ لِمَــنْ قَــضَا	لَــهُ، وَاسْــتَرَحْنَا فِي عَــذَابِ البَحَــائِرِ[9]
169	أَتَيْنَا[10] رِجَالاَتِ البُجَا[11] مِنْ حَــذَارِبَ[12]	بِكُلِّ بِجَــاوٍ[13] وَحَــدْرَبِي[14] غَــدَافِرِ[1]

[1] - رب الــدائر = النعمان بن المنذر.

[2] - في ن. (ب)، (ج) = سأبكهم.

[3] - في ن. (ب) = أرثيهم؛ في ن. (هـ) = لأنشر فضلهم؛

[4] - في ن. (ب) = السرائر.

[5] - في ن. (هـ) = ورق...في الضحى.

[6] - في ن. (ب) = جلهمٌ بالرفع، وفي ن. (ب) = وغادرتما.

[7] - في ن. (هـ)، (ب)، (ن) = وغيرهما فيضًا.

[8] - هي الكواكب الدرية اللامعة.

[9] - في ن. (د)، (ج)، (ن) = قضا الله منها، وفي كل النسخ = واسترحنا من عذاب..

[10] - في ن. (ب) = أتتنا.

[11] - البجا = قبائل تعيش بين النيل والقلزم، منهم طرف في مصر وآخر في السودان. ينظر: ياقوت، ج1 ص270.

[12] - حذارب = جنوب النيل على بحر القلزم. ينظر: ياقوت، ج2 ص124.

[13] - في ن. (د) = نجاد، بجاوٍ = هي إبل من تلك الناحية تنسب إليهم.

[14] - في ن. (ب) = حروي.

170 كَأَنَّ بِهَا جِنًّا عِتَاقُ النَّجَائِرِ[4] بِصهْبٍ[2] كَأَمْثَالِ الطُّيُورِ عَرِيقَةٍ[3]

171 أَصَاخَتْ[6] وَطَارَتْ مِثْلَ غُبْرِ القَنَابِرِ[7] إِذَا مَا أَحَسَّتْ نَبْأَةً[5] أَوْ تَوَهَّمَتْ

172 وَنَعْتَامُهَا مَا بَيْنَ جِذْعٍ وَفَاطِرِ[9] شَرَيْنَا وَسُمْنَا مَا اشْتَهَيْنَا رِكَابَنَا[8]

173 وَنَفْطٍ[11] وَجَنَّةِ البَلْيَنَا[12] الخَوَاطِرِ وَجِئْنَا إِلَى قُوصٍ[10] وَقُوصٌ خَصِيبَةٌ

174 تَخَالُ بِهَا البِطِّيخَ[13] صُمَّ الصَّوَائِرِ[14] بِهَا الخُوخُ وَالرُّمَّانُ وَالتُّوتُ وَاسِعًا

175 عَلَى مَنْزِلِ الجُودِ الأَعَمِّ المُثَابِرِ وَجَدْنَا بِهَا شَادَ بْنَ سَرْحَانَ[15] نَازِلاً

176 وَفَرَّقَهَا فِيهِ فَغَيْرُ مُكَابِرِ فَتىً جَمَعَ اللهُ المَحَاسِنَ كُلَّهَا

177 فَسِرْنَا وَعَدَّيْنَا بِصُهْبٍ شَرَائِرِ وَمِنْهَا إِلَى أَخْمِيمَ[1] ثَمَّتَ غَرَّبَتْ

---

1 - في ن. (ج)، (ن)، (د) = غدائر.

2 - في ن. (ب) = صهف، والصهب = جمال صهباء اللون مائلة إلى الحمرة.

3 - في ن. (د) = عريفة، يريد نجيبة أي ليست هجينة.

4 - في ن. (ب) = التحائر.

5 - في ن. (ب) = نبهة، يريد صوتا.

6 - أصاخت = أصغت السمع جيدا.

7 - في ن. (ب) = الغنابر، يريد القنابر= جمع قنبرة، طائر دائم التغريد والحركة.

8 - يريد اشترينا وساومنا من المطايا أي الإبل وغيرها.

9 - جذع وفاطر = منازل في الإبل كالشاب أو البالغ، نعتامها = يريد نبحث سنها وعمرها.

10 - قوص = مدينة جنوب شرق النيل تبعد عن بحر اليمن خمسة أيام شديدة الحر. ينظر: ياقوت، ج4 ص101.

11 - نفط = قرية نفطة من الزاب الكبير. ينظر: ياقوت، ج4 ص394.

12 - في ن. (ب) = البنات، في ن. (ج) = جنات، البلينا = مدينة على النيل غربيه. ينظر: ياقوت، ج1 ص375.

13 - في ن. (ب)، (ن) = البتيخ.

14 - في ن. (د) = الصرائر، هذا بيان وتوضيح من الشاعر، لما في هذه البلدان من فواكه وخيرات.

15 - في ن. (ب) = شادي بن مرحان، شاد بن سرحان = علم لم أعرفه.

178 فَجَـاءَ إِلَيْنَـا طَـارِقَ بْـنَ وَتِيقَـةِ[2] فَعُـدْنَا بِـهِ مِـنْ عَادِيَـاتِ الغَـشَامِرِ

179 وَجُزْنَا عَلَـى أَرْضِ العَجُـوزِ[3] دَلُوكَـةِ[4] زَمَاخِرَ مَسْحًا[5] وَهِيَ أَسْحَرُ[6] سَـاحِرِ

180 نَزَلْنَا عَلَـى أَسْيُوطَ[7] وَسْـطَ خَرَابِهَـا عَلَى الكُومِ[8] خَوْفًا مِنْ مَجل[9] الجَعَافِرِ[10]

181 بِلاَدٌ بِهَـا دَاسَـتْ وَجَاسَـتْ لَوَّاتَـهُ[11] خِيَـارُ[12] الـدِّيَارِ ثُـمَّ جُنْـدَ الجَعَـافِرِ

182 تَـرَى الخَيْـلَ أَسْـرَابًا تَمُـرُّ مُغِيـرَةً[13] رَعِـيلاً رَعِـيلاً[14] مُوثَقَـاتِ الحَـوَافِرِ

183 فَمَـرَّ عَلَـى آثَارِهَـا مُتَغَـشْمِرًا[15] أَخُو المَجْدِ عَبَّـاسٌ[16] بِـدَهْمِ العَـسَاكِرِ

184 فَفَرَّقَهَـا فِي الأَرْضِ ثُـمَّ تَفَرَّقَـتْ عَـسَاكِرُهُمْ شَـتَّى شَـمَاطِيطُ[1] سَـامِرِ

[04 ظ]

---

[1] - أحميم - بلد قديم على شاطئ النيل بالإقليم الثاني. ينظر: ياقوت، ج1 ص105؛ والصُّهب أو الصهباء - لـون في المطايا معروف.

[2] - في ن. (ب) - بن وقيعة، في ن. (ب)، (ج)، (د) - بن وتيعة، قلت لعله من الصعاليك أو قطاع الطرق وإلا لما استعاذ منه.

[3] - العجوز - لعلها نعت مع دلوكة لأنني لم أجدها.

[4] - قلت لعله موضع، ولعله ضربٌ من سير الإبل.

[5] - وفي ن. (ب)، (د)، (ج) - زماخير؛ وفي ن. (ب) - مسحا.

[6] - في ن. (د)، (ج) - أسحر ساحر، يريد أنهم انطلقوا مسرعين وكانت المطايا مسخرة لهم.

[7] - أسيوط - مدينة غربي النيل من نواحي الصعيد كبيرة. ينظر: ياقوت، ج1 ص158.

[8] - كوم - مدينة قرب الإسكندرية. ياقوت، ج4 ص345.

[9] - في ن. (ب)، (د)، (ن)، (ج) - محل.

[10] - لعله يريد جمع بني جعفر بن عامر.

[11] - لواتة - بطـن من البربر بالمغـرب.

[12] - في ن. (ج)، (ن) جبار - يريد أن هناك حروبا شهدتها هذه المواضع بين جند بني جعفر وغيرهم من القبائل...

[13] - أسرابا - جماعات.

[14] - رعيلا - جماعة، موثقات الحوافر - لا تمس حوافرها الأرض من السرعة.

[15] - متغشمرا - متجبرا.

[16] - عباس - لعله نفسه المذكور في رحلته ذهابا.

185	عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا فَوَارِسَ فِي الوَغَى[2]	مَطَاعِينَ فِي الهَيْجَا غيَاث[3] المُحَاوِرِ[4]
186	فَوَافَرَسَتْ فِي مَارِقِ الحَرْبِ[5] وَيحَهَا	غُلاَمَيْنِ مِنْ كَرزَا[6] قَبَاحَ المَنَاظِرِ
187	فَطَابَ لَنَا مِنْهَا الرَّحِيلُ فَجَنَّبْنَا[7]	إِلَى أَرْضِ أَشْمُونِينَ[8] طَولَ المَخَاطِرِ
188	وَمِنْ أَرْضِ أَشْمُونِينَ مَنْبَتُ خَاصِبِ[9]	وَنَهْبَسَةُ الغَايَاتِ لِلْمُتَبَاحِرِ
189	تَرَى طَنْبَدَا[10] مَغْرَاوَةَ دَهْيُوطَ[11] يمنَةً	وَأَيْسَرَنَا مَيْدُومُ[12] عِنْدَ البَوَاصِرِ[13]
190	وَمِنْ طنبدَا يُوشَا[14] وَمُنْيَةَ قَائِدِ[15]	وَكَرْمِ شَرِيكٍ[16] خَلْفَ مِصْرَ وَقَاهِرِ[17]
191	وَجُزْنَا عَلَى أَرْضِ البحيرَةِ[18] تَرْتَمِي[1]	تَسِيرُ عَلَى العلاَّتِ[2] مِثْلَ النَّوَاعِرِ[3]

---

[1] – في ن. (ب) = شماطط، يريد تفرقت عساكرهم تفرقا لا اشتمال بعده.

[2] – الوغى = الحرب.

[3] – غُياث = مُنقذين

[4] – في ن. (ب) = المحاجر، يريد غياث المستجيرين.

[5] – في خضم الحرب أو حين يحمى الوطيس.

[6] – في ن. (د)، (ن) = كرز، وكرزا = موضع لم أجده.

[7] – في ن. (ب)، (ج)، (ن)، (د) = فأسرعت.

[8] – أشمونين = كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل. ينظر: ياقوت، ج1 ص163.

[9] – في ن. (ب)، (ج)، (ج) = منية حاطب.

[10] – في ن. (ب) طنبدا = قرية من أعمال البوشا من صعيد مصر. ينظر: ياقوت، ج3 ص267.

[11] – دهيوط = بليد على الشاطئ غربي النيل من ناحية الصعيد ثم البهنسا. ينظر: ياقوت، ج2 ص328.

[12] – ميدوم = موضع لم أجده في المعاجم.

[13] – عند البواصر = يريد عند مرمى البصر.

[14] – يوشا = لعله موضع، لم أجده.

[15] – منية القائد = في أول الصعيد قبلي الفسطاط بينها وبين مصر يومين.

[16] – كرم = كرم شريك قرب الإسكندرية. ينظر: ياقوت، ج4 ص391.

[17] – قاهر = هي القاهرة الحاضرة إلى اليوم.

[18] – البحيرة = هي كورة معروفة في نواحي الإسكندرية. ينظر: ياقوت، ج1 ص287.

192 مَنَـارَةُ ذي القَـرْنَيْنِ[4] أسْـكَنْدَرِيَّةٌ ... هُنَاكَ مَنَـاخُ العِيـسِ[5] في شَهْرِ نَـاجِرِ[6]

193 إلَـى لاَحِـبٍ[7] رَحْـبٍ كَـأنَّ نَبَاتَـهُ[8] ... خُطُوطُ بِـجَادٍ[9] وَاضِـحَاتِ المَنَـابِرِ[10]

194 بِـدَيْرِ النَّـصَارَى[11] كَـانَ أَوَّلَ لَيْلَـةٍ ... مَنَـاخُ مَبِيـتِ الرَّاكِـبِ المُتَـاوِرِ[12]

195 قَوَاصِـدَ حَمَّـام وَسَمَامَـةَ الـدَّوَى[13] ... وَسَـاحِلِهَا وَالأبْتَـرِ المُتَبَـاحِرِ[14]

196 تَمُـدُّ بِأيْـدِيهَا[15] يَمِينًـا وَشَـأْمَةً ... لَهَا أمْرُهَـا فِي الرَّغْـيِ لَـمْ تَتَقَـاطَرِ[16]

197 يُوَاصِلْنَ مَـا بَـيْنَ العُقَـابِ[17] وَلَبَّـةٍ[18] ... يُوَاهِقْنَ[19] بِالحُجَّاجِ قَـدْحَ[1] الـدَّوَائِرِ

---

1 - ترتمي = تريد.

2 - العلات في ن (ب) = الغلات؛ يريد الإبل.

3 - في ن (ب) النواغر = جمع نغر وهو طائر معروف.

4 - منارة ذي القرنين = لعله يريد منارة الإسكندرية. ينظر: ياقوت، ج1 ص150.

5 - مناخ العيس = مبرك الإبل.

6 - شهر ناجر = هو شهر تموز، يوليو أو جويلية.

7 - اللاحبة = الطريق الواسعة

8 - في ن. (ب) = بناته.

9 - البجاد = كساء مرقوم.

10 - في ن. (ب)، (د) = المنائر.

11 - دير النصارى = لعله الديرة البيض بالصعيد غربي النيل فيهما رهبان كثير. ينظر: ياقوت، ج2 ص332.

12 - في ن. (ب) = المتشاور، وفي ن. (ب) = المتناور، وهو يريد هنا الساري.

13 - في ن. (ب) = وشامة، حمام وسامة = موضع هكذا. ينظر: ياقوت، ج4 ص457.

14 - في ن. (ب) = متباحر، لعله وسيم = كورة في جنوب مصر تخرج من الفسطاط وتصير في الجيزة غربي النيل.

15 - في ن. (ب) = بأيدينا.

16 - في ن. (ب) = تتقاصر، لعله يريد أن الإبل تسرع في عدوها.

17 - العقاب = قرية بمصر. ينظر: ياقوت، ج3 ص335.

18 - في ن. (ب) = لبنة، قلت لعلها لبنة من قرى مهدية في إفريقية. ينظر: ياقوت، ج4 ص174.

19 - في ن. (ب) = يوافين.

198 تَرَاءَتْ لَنَا شَمَاسُ[3] بَعْدَ رُمَّادَةٍ[4] ... خَرَائِبَ قَوْمٍ كَالرُّسُومِ الدَّوَاثِرِ

199 هُنَاكَ اخْتَلَفْنَا وَاشْتَجَرْنَا[5] فَبَعْضُنَا ... يُرِيدُ بِنَا لُكَّا[6] يَمِينَ الخَنَاصِرِ[7]

200 وَآخَرَ يَبْغِي صَوْبَ يُسْرَى وَمَوْرَهَا ... يَحِيدُ[8] عَلَى الهَلَاكِ خَوْفَ القَوَاشِرِ[9]

201 فَلِلَّهِ الأَمْرُ قَبْلَ هَذَا وَبَعْدَهُ[10] ... وَلَنْ يَعْرِفَ الإِنْسَانُ وَجْهَ المَخَائِرِ

202 وَأُبْنَا وَأَلْقَيْنَا إِلَى اللَّهِ رَغْبَةً ... لِيَهْدِيَنَا قَصْدَ السَّبِيلِ[11] وَجَائِرِ

203 فَمِلْنَا إِلَى اليُسْرَى فَيَسَّرَ أَمْرَنَا ... وَأَصْبَحَ عَوْنُ اللَّهِ لِلْمُتَيَاسِرِ

204 فَحِدْنَا[12] وَخَلَّفْنَا سُلَيْمًا بِحُجْزَةٍ[13] ... وَلَمَّا نُبَالِ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ نَاصِرِ[14]

205 إِلَى أَرْضِ مَيْمُونِ السَّحَابِ وَزُلْعُفٍ[15] ... وَلَحْفٍ وَزَنْبُورٍ وَشَاسٍ وَشَاصِرِ

---

1 – في ن. (ب)، (ن)، (د) = قرح.

2 – في ن. (ب)، (د) (ن) = الدوابر.

3 – شماس = عمارة يسيرة، ومنها إلى خرائب القوم إلى مدينة الرماد 35 ميل. ينظر: ياقوت، ج3 ص87.

4 – منازل متصلة قرب بعضها، بينها وشماس بضعة أميال.

5 – في ن. (ب) = استجرنا.

6 – لكا = بلدة من نواحي برقة بين الإسكندرية وطرابلس والغرب. ينظر: ياقوت، ج4 ص182.

7 – الخناصر = قلت لعله موضع لم أجده.

8 – في ن. (ب)، (ج) = يجيد.

9 – في ن. (ب) = المقاشر، يريد هنا أنه اختلفوا فلم يهتدوا إلى طريق النجاة التي لا يوجد بها قطاع الطرق.

10 – استحار الركاب رهم لما أطبقت عليهم الأهوال، فيه اقتباس من قوله تعالى: "فلله الأمر من قبل ومن بعد" الروم، آية 4.

11 – اقتباس من قوله تعالى: " وعلى الله قصد السبيل، ومنها جائر ولو شاء لهداكم " النحل، آية 9 ؛ وأبنا = عُدنا.

12 – في ن. (ب) = بحجرة.

13 – في ن. (ب) = فحزنا؛ وفي ن. (ب)، (ج)، (د)، (ن) = ناصر.

14 – سليم بن ناصر = علم لم أعرف من النص إلا اسمه، يبدوا أنه مشاحن لذلك أخذ طريقا غير طريق القافلة.

15 – في النسخ الأخرى ورد: زلعب = موضع لم أجده وكذلك لحف وزنبور وشاس مواضع أيضا لم أجدها.

206 وَآسٍ وَلَاسٍ وَابْنِ الأَعْرَكِ[1] والْفَتَى   مِنْ النَّفَرِ المَذْكُورِ عَمْرُو بْنُ جَابِرِ

207 أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّفَا لِمَنْ بَغَى السَّـ...   ...لَامَةَ مِنْهُمْ أَوْ هَنَاتَ بْنُ طَامِرِ[2]

208 لَقَفْزَةُ شَخْصٍ وَسْطَ فَحْمٍ أَحَبُّ مِنْ   شَفَاعَةِ أَلْفٍ مِنْ غَفِيرٍ وَخَافِرِ

209 وَسِرْنَا مِنْ الأَجْبَابِ[3] أُسْبُوعَ جُمْعَةٍ   وَكُنَّا اسْتَقَيْنَا مِنْ مِيَاهِ الثَّمَائِرِ[4]

210 وَغَبَّتْ[5] فَغَيَّبْنَا إِلَى سَنْتَرِيَّةٍ[6]   فَعَادَتْ رُؤُوسُ الصُّهْبِ سُلْبَ الهَيَاشِرِ

211 هُنَاكَ قَطَعْنَا صَوْبَ عَرْضٍ طَرِيقَنَا   إِلَى أَنْ وَرَدْنَا مَاءَ بِئْرِ المُكَاسِرِ[7]

212 وَدُسْنَا تَبَارَى[8] مِثْلَ أَوَّلَ مَرَّةٍ   وَكَانَتْ لِأَهْلِ الحَزْمِ إِحْدَى الشَّخَاتِرِ[9]

213 وَكُنَّا بِحَمْدِ اللَّهِ أَكْثَرَ نَاصِرًا   عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الحَالِ أَصْغَرُ صَاغِرِ

214 عَلَى أَنَّ بِئْرِ ابْنِ المُكَسَّرِ هَزَّنَا   فَمَشَّى البُطُونَ بِالسِّلَاحِ المُغَادِرِ[10]

215 إِذَا مَا مَشَى مَاشٍ تَقَاعَسَ[11] ظَهْرُهُ   وَصَارَ طِوَالُ النَّاسِ مِثْلَ الجَعَادِرِ[1]

---

1 - في ن. (ب) = الأعوك، هذه أسماء لأعلام لم أعرفها فقد ذكرها في النص دون تفصيل، كابن الأعرك وعمر بن جابر.

2 - في ن. (ب) = ضامر.

3 - الأجباب = ج جب ولعله موضع كثير الآبار، لم أجده.

4 - في ن. (ب)، (د) = النهائر، النمائر = ج نمير أي العذب من المياه.

5 - غَبّت = أسرعت، يريد الجمال أسرعت في سيرها قبل مغيب الشمس الذي أدركهم بسنترية.

6 - سنترية = موضع في غرب الفيوم دون فزان السودان من أوجلة إلى سنترية عشر مراحل في الصحراء ورمال قليلة الماء، ومن سنترية إلى هنا الواحات عشر مراحل وهي غير هنا الصعيد. ينظر: ياقوت ج3 ص77.

7 - بعد أن وصلوا إلى سنترية قطعوا الطريق صوب عرض، إلى أن وصلوا بئر ابن المكاسر، وهو موضع لم أجده.

8 - تبارى = موضع لعله يوجد بصحراء مصر تجاه طرابلس وقد ذكره الوارجلاني في رحلته ذهابا.

9 - في ن. (ب)، (ن) = الشحاتر، في ن. (د)، (ج) = الشحائر؛ والشخاتر = العجائب والدواهي.

10 - قلت لعلهم صادفوا قطاع الطرق فوقعت بينهم مقاتلة.

11 - في ن. (ب) = تقاعر، في ن(ج) تقاعن.

216 فَلَمَّـا وَرَدْنَـا مَـاءَ زَيْـدَانَ[2] قَلَّـصَتْ بُطُـونَ بَنِـي تَـادَا[3] ذَوَاتَ المَجَـاعِرِ

220 وَفَـرَّجَ عَنَّـا كُـلَّ هَـمٍّ وَغمَّـةٍ دُرَا زَلَّـةِ[4] ذَاتِ العُيُـونِ المَـوَائِرِ

221 فَلَمَّـا وَطِئْنَـا أَرْضَ زَلَّـةَ أَفْرَحَـتْ بِأَرْوَاعِنَـا كُـلَّ الهُمُـومِ السَّـوَاهِرِ

222 شَـمَمْنَا بِهَـا أَرْوَاحَ مَغْرِبِنَـا الَّتِـي تُحَـاكِي مِـنَ الأَرْوَاحِ شُـمَّ الـدَّرَائِرِ

223 هُنَـاكَ اخْتَلَفْنَـا مِثْـلَ أَوَّلِ مَـرَّةٍ فَـبَعْضٌ إِلَـى وُدَّانَ[5] وَالـبَعْضُ آدَرِ

224 وَمِنَّـا أُنَـاسٌ أَصْـلَحَ اللَّـهُ حَالَنَـا وَحَـالَهُم أَهْـلَ الـرُّؤُوسِ الأَكَـابِرِ

225 تُنَـازِعَهُمْ أَرْوَاحُهُـمْ كُـلَّ آفَـةٍ وَيَـأْبُوْنَ إِلاَّ دَامِـرَاتِ المَـدَامِرِ

226 وَكَـانُوا اسْـتَقَالُوا فِي تَبَـارَى تَبَـارِهِمْ وَسَـلَّمَهُمْ مِنْهَـا دَلِيـلُ المَخَـابِرِ[1]

227 وَقُـلْ أَنْـتَ فِي الـدُّنْيَا يَمِـينُ يَسَـارِهَا وَيُـسْرَى كَيُمْنَاهَـا بِعَكْـسِ التَّـصَابُرِ

228 وَصِـرْنَا إِلَـى اليُـسْرَى كَـأَوَّلِ مَـرَّةٍ وَكَـانَ بِحَمْـدِ اللَّـهِ أَيْـسَرُ يَاسِـرِ

229 وَجُزْنَـا عَلَـى الهَـارُوجِ[2] ثَـانِي مَـرَّةٍ وَقَـدْ أَعْقَبَتْنَـا مُعْـصِرَاتُ الـصَّبَائِرِ

230 وَأَمْـرَعَ[3] مِـنْ قِيعَانِهَـا كُـلَّ جَانِـبٍ فَجَادَ عَلَى الظَّهْـرِ الـضَّعِيفِ المَحَاسِرِ [05 و]

---

[1] - في ن. (ب) - الجعافر؛ والجعادر - القصار من الناس.

[2] - في ن. (ب) - ويدان لعله وردان وادي دون وسق فسطاط مصر، وزيدان اسم قصر (كذا). ينظر: ياقوت، ج4 ص453.

[3] - في ن. (ن) - بني تادوا، وفي ن. (ب) - بني تاد؛ بني تادا - قلت لعله موضع سمي بأهله هكذا، للأسف لم أجده.

[4] - زلة - هي زويلة مدينة غير مصور في الصحراء وهي حاضرة إلى اليوم بليبيا. ينظر: ياقوت، ج2 ص489. قلت لما وطئوا هذه الأرض ذهبت عنهم الهموم وأحسوا هناك فقط بقرب ديارهم، قلت لا تكون زويلة إلاّ تصغيرا لزلة وهي قرية داخل فزان.

[5] - ودان - بينها وزيلة عشرة أيام. ينظر: ياقوت، ج4 ص448. أما آدر - موضع أيضا لم أجده.

231 وَفِي جَبَلِ الهَارُوجِ لِلنَّاسِ آيَةٌ لَهُ مَنْظَرٌ كَالبَحْرِ شُمٌّ المَنَاظِرِ[4]

232 وَمَخْبَارَةٌ[5] مِثْلَ[6] القُرَى حِينَ دُمِّرَتْ وَأَهْلَكَهَا الجَبَّارُ شَرُّ المَخَابِرِ

233 فَيَا مَنْزِلَ العُبَّادِ أَصْبَحْتَ مُوحِشًا وَجَرَّ عَلَيْكَ الدَّهْرُ ذَيْلَ الأَعَاصِرِ[7]

234 وَأَصْبَحَ أَهْلُكَ الَّذِينَ تَتَابَعُوا كَأَحْلَامِ نَوْمٍ بَلْ كَآثَارِ عَابِرِ

235 تَرَكْنَاكَ يَا وُدَّانُ شَامًا مُغَرَّبًا وَطِبْنَا نُفُوسًا عَنْ ثِمَارِ التَّسَافُرِ

236 وَلَكِنْ مِنْ يَوْنُسَةٍ[8] عَرَّجَتْ بِنَا إِلَى تَمْزَا[9] وَادِي الكُفُورِ[10] الكَوَافِرِ

237 إِلَى صَوْبِ دَرْجٍ ثُمَّ أَرْضِ غَدَامِسٍ[11] مُفَوَّزَ وَبَاغٍ كُلِّ أَرْضٍ وَنَادِرِ

---

[1] - يشكي من وجود بعض المسافرين المشاكسين فلقد حاولوا تقسيم الركب مثلما حدث لهم في موضع تبارى حيث أرادوا عكس ما أراده الحجاج، فنلاحظ في كل مرة يشكل عليهم الطريق، قلت لعلهم عادوا من غير دليلهم أبو ثعلب، وربما كان مع الغرقى، وقد اختاروا هذه المرة السير نحو المسيرة مثل المرة السابقة فنجوا برشد من الله.

[2] - الهاروج = جبل منيف بفزان، وقد اشتد عليهم القيض هنالك، فربما أدركوه في شهر أوت فقد نزلوا مصر في شهر جويلية.

[3] - في ن. (ب)، (ج) = الظهر؛ وأمرع أي أخصب، قيعانها = يريد أرضها، أي جادت عليهم الأرض رغم قحطها.

[4] - يصف الشاعر جبل الهاروج عال ومنيف ومنبسط في بعض أطرافه.

[5] - في ن. (ج)، (و) = مخبرة = خلاف المنظر والعلم بالشيء و إدراكه بالخبر.

[6] - في ن. (ب)، (ج)، (ن) = كمثل.

[7] - منزل العباد = سبق التعريف به، لعله كما يذكر الشاعر صار خرابا وقتل جميع من كان فيه، لقد تزامنت فترة الشاعر مع حملات الموحدين بقيادة يحي بن غانية الميروقي، فقد أغاروا على بلاد كثيرة من إفريقية قبل وصول الموحدين (602هـ).

[8] - في ن. (ب) = بونيشة، وفي ن.(ج)، (ن) = بويسة؛ يُونَسَة = موضع لم أجده.

[9] - تمزا = لعله يريد تمسا مدينة صغيرة من نواحي زويلة بينهما مرحلتان.

[10] - وادي الكفور = سبق الحديث عنه.

[11] - غدامس = مدينة المغرب ضاربة في بلاد السودان أهلها بربر. ينظر: ياقوت، ج3 ص377.

238 إِلَــى بَلْــدَتَيْنِ بَلْــدَةٍ مِثْــلِ جَنَّــةٍ وَأُخْــرَى كَمِثْــلِ النَّــارِ ذَاتِ المَسَــاعِرِ

239 حَلَلْنَا بِــوَادِ الخُبْــزِ وَاللَّحْــمِ وَالقِــرَى[1] بِهَــاتَ وَهَاتَــا[2] بِالــصَّحَارِي المَنَــاكِرِ

240 جَزَى اللَّهُ عَنَّا وَارجْلاَنَ[3] خَيْرَ مَــا جَــزَى بِــهِ بَلَــدًا عَــنْ طَالِــبِ الخَيْــرِ مَــائِرِ

241 فَهُــوَ جَنَّــةُ الــدُّنْيَا وَأَبْــوَابُ مَكَّــةَ وَمَعْــدِنُ تِبْــرِ غَانَــةَ بِالــدَّنَانِرِ

242 فَمَنْ كَانَ يَبْغِي الحَــجَّ فَلْيَــأْتِ وَارجَــلاَنَ يَجِــدْ سُــبْلَهَا رحْبًــا وَخَفْــرَةَ خَــافِرِ

243 مِنَ الضَّجِ وَالرِّيحِ[4] اللَّــذَانِ هُمَــا هُمَــا هِيَ[5] الغَايَةُ القُــصْوَى لِجَــارٍ مُجَــاوِرِ

244 وَإِنْــسٍ وَجَــانٍ ثُــمَّ فِتْيَــانِ لَمْطَــة[6] إِلَى بَابِ مِــصْرَ حَــسْبُ غَيْــرَ مُفَــاخِرِ

245 فَإِنْ حَجَّ قَوْمُ الغَــرْبِ مِــنْ بَعْــدِ هَــذِهِ يَحِــجُّ جَمِيــعُ النَّــاسِ بَــرٌّ وَفَــاجِرِ[7]

246 هُمَامًا هُمَا كَالشَّمْسِ وَالبَدْرِ فِــي الــوَرَى هُوَ ابْنُ عقيْلٍ وَالفَتَــى ابْــنِ الأَحَــامِرِ[8]

247 فَأَمَّا أَخُو الخَيْــرَاتِ نَــصْرَ بْــنُ تَغْلِــبِ[9] فَالكَــشَّمْسِ فِــي الــدُّنْيَا وَأَبْهَــرُ بَــاهِرِ

---

[3] - وارجلان - ليست الحاضرة اليوم بل كانت قبلها مدينة سدراتة، 12كم شمال وارجلان الحاضرة وهي اليوم آثار ومدينة تحت الرمال، وقد كانت منها قوافل الحجاج إلى مكة، وقوافل التجارة إلى غانا والسودان، والتبر من بلد السودان، إليها ينسب الذهب الخالص وهي صوب المغرب، بينها وسجلماسة ثلاثة أشهر. ينظر: ياقوت، ج1 ص430.

[4] - الضج- نوع من النمار يريد الثمار والهواء النقي المنعش وهما مطلبان عزيزان في الصحراء.

[5] - في ن (ج) (ن) - هما.

[6] - لمطة - موضع أرض لقبيلة من البربر في أقصى المغرب، يقال للأرض والقبيلة معا لمطة. ينظر: ياقوت، ج4 ص182.

[7] - لا أعلم بالضبط ماذا يقصد الشاعر في بيته هذا، ولعله يريد انتشار الفتن في المغرب حيث فسدت بذلك الطرق إلى الحج وشقت على كل من يطلب أرض المشرق.

[8] - في ن. (ج) - الأحامر: ابن عقيل وابن الأحامر: علمين لم أعرفهما، وقد مدحهما الشاعر ولعلهما كانا من مرافقيه إلى الحج.

[9] - في ن (ب)، (ج)، (ن)، - ناصر بن ثعلب.

248 وَأَمَّا أَخُو الحَنَّانِ[1] فَالْبَدْرُ كَامِلاً فَإِنْ عَادَ شَمْسًا فَهُوَّ أَجْدَرُ جَادِرِ

249 وَذَاكَ إِلَيْهِ وَالجَوَادُ[2] تَعُدُّهُ[3] وَلاَ عُذْرَ[4] وَالأَبَاءِ طِيبُ المَخَابِرِ

250 فَأَمَّا شُجَاعٌ[5] فَهُوَّ أَشْجَعُ مَنْ مَشَى عَلَى الأَرْضِ بَعْدَ الأَشْجَعِينَ العَنَاتِرِ

251 فَسُقْيًا لِحَاجِّ الغَرْبِ حَيْثُ تَوَجَّهُوا وَبَخ بَخ بِهِمْ مِنْ عَبْقَرٍ وَالعَبَاقِرِ

252 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو طُولَ هَمِّي وَغمَّتِي وَبَثِّي[6] وَحُزْنِي مِنْ أُمُورٍ شَوَاجِرِ

253 أَرَاهَا تَدَانَتْ وَاسْتَرَابَتْ وَأَقْبَلَتْ بِهَوْلٍ عَظِيمٍ بَعْدَ هَوْلٍ وَآخَرِ[7]

254 ثَلاَثَةُ أَهْوَالٍ أَطَلَّ زَمَانُهَا عَلَيْنَا وَحَاقَتْ[8] بِالدَّوَاهِي الفَوَاقِرِ

255 بِطُبْنَةِ[9] مِنْهُمْ[10] قَائِمٌ مُتَشَمِّرٌ تَلُوحُ مَبَادِيهِ[11] وَيُسْمَى بِطَاهِرِ[12]

256 وَآخَرَ فِي أَشْرَافِ حَسَّانِ[13] قَائِمٌ يُسَمَّى بِحَسَّانٍ وَلَيْسَ بِثَائِرِ

---

[1] - في ن (ب)، (ج) = الحمران، قلت لعله لقب لأحدهم.

[2] - في ن(ب) = الجود.

[3] - في ن (ب) = رشده، وفي ن (ج)، (ن) = تشده.

[4] - في ن (ب) = ولا غرو.

[5] - شجاع = لا أدري إن كان اسما لأحدهم أو نعتا أشاد به الشاعر هو الآخر.

[6] - في ن (ن) = وبيني.

[7] - يدخل الشاعر هنا في شيء من علم الحدثان، وقد ذكر الدرجيني في طبقاته خلال تعريفه للوارجلاني بأنه مهتم بعلم المكاشفة والحدثان، أي التنجيم. ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج2 ص491 ومابعدها.

[8] - في ن (ج) =حانت.

[9] - طبنة = بلد في إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب. ينظر: ياقوت، ج3 ص251.

[10] - في ن (ب) (ج) (ن) = منها.

[11] - في ن (ج) (و) =بصدقه.

[12] - في ن (ب) = بظاهر، قلت لعله من جنود يحي الميروقي.

[13] - حسان = قصور بطريق مصر سماها بذلك حسان بن النعمان الغساني.

257	عَلَى أَشْقَرٍ نَهْدِ المَرَاكِلِ أَخْيَفٍ	يُبِيدُ جَمِيعَ السَّابِقِينَ الأَشَاقِرِ[1]
258	لَهُ غُرَّةٌ سَالَتْ عَلَى نِصْفِ وَجْهِهِ	وَعَيْنٌ لَهُ زَرْقَاءَ وَكَحْلاَءَ لِنَاظِرِ
259	فَبَعْضٌ يَقُولُ أَبْيَضُ اللَّوْنِ نَاصِعٌ	سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ[2] الشَّوَاجِدِ وَافِرِ
260	وَيَحْفِرُ فِي الأَرْضِ[3] الفَضَاءِ بِسُنْبُكٍ[4]	فَيُفَجِّرُ مِنْهَا المَاءَ لِلْمُتَفَاجِرِ
261	هُنَاكَ تَفَانَى النَّاسُ حَتَّى فَنُوا بِهَا	وَأَمَّتْ نِسَاءٌ كَالجَرَادِ النَّوَاشِرِ
262	كَأَنَّ رُؤُوسَ النَّاسِ أَحْجَارُ حَرَّةٍ[5]	وَأَجْسَادُهُمْ مِثْلَ الجُذُوعِ الأَقَاعِرِ[6]
263	وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا وَذَاكُم وَذَلِكُم	عَسَاكِرُ أَهْلِ الغَرْبِ ذَاتِ المُبَاشِرِ[7]
264	تُغَطِّي وُجُوهَ الأَرْضِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ	كَمِثْلِ الضَّبَابِ ذِي الحَبَا المُتَوَاتِرِ
265	تُبِيدُ رِجَالاً ثُمَّ تَسْبِي حَرِيمَهَا	فَتَغْنَمُ[8] أَمْوَالاً وَعَافِي المَضَامِرِ[9]

[1] – في ن (ب) (ج)، (و) – زرقاء وكحلا؛ هنا وصف بديع لفرس المقاتل بأنه أشقر، نهد المراكل واسع ما بين الفخذين أخيف سريع وله عين زرقاء وغرة...واختلفوا حتى في وصفه ثم إنه له حوافر قوية، وهو يشبه وصف امرئ القيس لفرسه.

[2] – في (ج)-غيلُ.

[3] – في (ب)-أرض.

[4] – السنبك = الحافر.

[5] – في ن. (ب) = أحجر، في ن. (ن) = أعجاز، وفي ن. (ج) = أعجز، الحرة أي الفلاة، وعادة ما تكون أحجارها مشتتة.

[6] – يصف الشاعر كيف أفنى الناس بعضهم البعض خلال الحرب، وكيف فصلت الرؤوس عن الأجساد، وقد وظف الاقتباس: "....فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ..." الحاقة، الآية 7.

[7] – إشارة وتفصيل من الشاعر في بعض أحداث وصول الدعوة الموحدية إلى المغرب كما أوردها مبارك الميلي في تاريخ الجزائر. "سنة 554هـ دخل عبد المومن الموحدي إفريقية ثانية، ونزل تونس ثم أقلع عنها وحاصر النصارى بالمهدية عاما كاملا عام 555هـ، دخل أبو محمد عبد المومن مدينة المهدية صلحا ثم استولى عليها...".

[8] – في ن. (ب)، (ج)، (ن) – وتغنما في ن. (ب)، (ن) – ما في.

[9] – في ن. (ب) – الضمائر.

[05 ظ]

266 إذَا وَطِئُوا قَوْمًا أُبِيدَتْ جُمُوعُهُمْ وَلَنْ يَنْفَعَ المَوْطَأَ شَدُّ الجَبَائِرِ[1]

267 لَهُم وقعةٌ فَجَّ الرِّمَاحِ شَنِيعَةٌ وَأُخْرَى بِبَاغِي[2] وَذَاتِ المَعَاصِرِ

268 وَيَأْتِي لِلأَرْضِ القَيْرَوَانِ مُحَاصِرًا وَيَهْزِمُ فِيهَا الرُّومَ ذَاتَ التَّصَاوُرِ

269 يُقِيمُ عَلَى المَهْدِيَّةِ العَامَ كَامِلاً وَشَهْرَيْنِ وَأَسْقَلِيَةَ المُتَنَاصِرِ[3]

270 وَيَأْتِي لِمِصْرَ كَالعَرُوسِ تَزَيَّنَتْ تُشِيرُ بِوَجْهٍ مِثْلَ وَجْهِ المُوَاجِرِ

271 يَزُورُ وَيَعْلُو قَائِمًا قَبْرَ جَدِّهِ عَلَى مِنْبَرِ الحَرَمَيْنِ[4] خَيْرِ المَنَابِرِ

272 وَفِي ظَاهِرِ البَيْدَاءِ يَخْسِفُ عَاجِلاً بِأَوَّلِهِمْ خَسْفًا وَيُثْنَى[5] بِآخَرِ

273 وَيَخْرِبُ بُلْدَانَ العِرَاقِ وَأَهْلَهَا وَيَتْرُكُ بَغْدَادًا وَلَيْسَ بِعَامِرِ

274 وَيَخْسِفُ فِي أَرْضِ[6] العِرَاقِ بِمَعْشَرٍ وَلَيْسَتْ بِدَارٍ أَيُّهِمْ مِنْ مَعَاشِرِ

275 خَلاَ أَنَّهُمْ قَالُوا إِمَامٌ مُضَلَّلٌ مِنْ آلِ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ صَاخِرِ[7]

276 وَسَارَ إِلَى أَرْضِ المَوْصِلِ[8] وَيَلْبُود[9] إِلَى ابْنِ قَسِيمِ الدَّوْلَةِ المُتَظَافِرِ

277 يُعَارِكُهُمْ فِي الحَرْبِ ثُمَّ تَعَارَكُوا وَلَمْ[10] يَفْلَتِ الغَرْبِيُّ[11] إِلاَّ بِنَادِرِ

---

3 - في ن(ب) = بيغايا.

4 - لا أدري إن كان يقصد منبر الحرمين الشريفين.

5 - في ن. (ب) = يثني.

6 - في ن. (ب)، (ج)، (ن) = لأرض.

7 - علم لم أتوصل إلى التعريف به.

8 - في ن. (ب)، (ن) = الموصلين.

9 - في ن. (ب)، (ن) = ويقتفي، في ن. (ج) = وتبينوا، في ن. (ن) = ويقتني.

10 - في ن. (ج)، (و) = لن.

11 - في ن. (ب) = العربي.

278 هُنَاكَ أَتَى الدَّجَّالُ يَزْعُمُ أَنَّهُ إِلَهُ الوَرَى أَجْهِلْ[1] بِهِ فِي الأَعَاوِرِ

279 وَيُوجِزُهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ حَرْبَةً بِجَانِبِ لُزٍّ[2] طَعْنَةً فِي المَنَاحِرِ[3]

280 وَيَاجُوجُ أَفْوَاجًا وَمَاجُوجُ بَعْدَهُمْ يَسُومُونَ هَذَا الخَلْقَ سُوءَ المَنَابِرِ[4]

281 وَمِنْ بَعْدِ هَذَا مَوْتُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمٍ وَنَفْخَةُ صَعْقِ الخَلْقِ فِي صُورِ صَائِرِ

282 وَلَوْ أَنَّنِي اسْتَقْصَيْتُ شَرْحَ بَيَانِهَا لَقَصَّرَ عَنْهَا شَأْوُ كُلِّ الدَّفَاتِرِ[5]

283 لَإِنْ نَزَرْتَنِي[6] بِالقَوَافِي قَصِيدَتِي فَمِنْ قَبْلِهَا أَحْكَمْتُ حَوْكَ النَّوَازِرِ[7]

284 وَسَانَيْتُ وَاسْتَخْفَيْتُ كُلَّ غَرِيبَةٍ وَرُضْتُ صِعَابَ المُنْكَرَاتِ النَّوَافِرِ

285 وَجَنَّبْتُ مَا يُعْنَى الحَلِيمُ بِمِثْلِهِ سِنَادًا وَإِقْوَاءً[8] وَإِيطَاءَ حَائِرِ

286 وَعَيْبًا مُعَابًا وَالزِّحَافَاتِ كُلَّهَا سِوَى فَلَتَاتٍ مِثْلُهَا غَيْرُ ضَائِرِ[9]

287 فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهَا مَحْفُوظًا بِمُقْلَةِ وُدٍّ أَوْ بِمُقْلَةِ شَازِرِ

288 يَجِدْ وَزْنَهَا وَزْنًا وَحُسْنَ بَيَانِهَا بَيَانًا وَإِعْرَابَ الغَرِيبِ بْنِ عَابِرِ[10]

---

1 - في ن. (ب) - أقبح.

2 - في ن. (ن)، (ج) - لدًّا.

3 - في ن. (ب) - يجنب له بل طعنة المناخر.

4 - في ن. (ج) - الملافر ، في ن. (ن) - المنافر.

5 - يريد الشاعر أن يفتخر بنظمه لهذه القصيدة وبأنه من قبلها أحكم حوك الفرائد، قلت لعلها إشارة منه إلى ديوانه المفقود، وأنه استخرج كل غريبة من الكلام أوصعبة، ثم يدخل في شرح شيء من علم العروض، ولعل ذلك كان مما حصله من دراسته بالأندلس.

6 - في ن. (ب)، (ن) - ندرتني، النوازر - الفرائد.

7 - سانيت - راوضت؛ النوافر - الشوارد.

8 - في ن. (ب) - سنادٌ وإقواءٌ بالرفع.

9 - اعتراف بوجود ضعف في إقامة هذه القصيدة وفيها تواضع مقصود من الشاعر، وهي صفة يتسم بها العلماء.

10 - في ن (ن) - الغريب بن عامر.

289 ألاَ هَلْ فَتًى يَحْدُو ويُنشِدُ مِثْلَهَا فَيَكْفِي ويَشْفِيَ غَوْضَ جَبْرٍ لِكَاسِرِ

290 عَلَى أنَّ أَوْلاَدَ الرِّجَالِ كَثِيرَةٌ وَقَدْ أَنْجَبَتْ رُودُ الغَوَانِي الغَوَادِرِ

291 وَبَهْوٍ[1] عَلَى قَدْ أَنْعَشَ اللَّهُ جَدَّهُ بِنَعْشِ كَلاَمٍ خَامِرٍ أُمَّ عَامِرِ

292 وَمَخطِبَةٍ إلاَّدَهَ مَا بَلاَدَةٍ فَتًى مَا لِلإِخْرَاجِ المَعَانِي المُسَاتِرِ

293 وَشُهْرَةٍ مُغْنِيَةٌ عَنْ دِلاَلَةٍ عَلَيْهِ أَجَلُّ مَا حِيلَتِي فِي الأَثَاقِرِ[2]

294 فَمَا أَبْيَنَ الصُّبْحَ المُنِيرَ إذَا بَدَى سَنَاهُ لِذِي عَيْنَيْنِ[3] غَيْرَ مُكَابِرِ

295 إذَا كَانَ يَوْمُ المُلْتَقَى فَبَدَا لَهُمْ[4] مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَحْتَسِبْ كُلُّ سَاحِرِ

296 هُنَالِكَ إِبْرَاهِيمُ خَيْرُ مُشَفَّعٍ وَقَدْ خُيِّبَ المُسْتَشْفِعُونَ بِآزَرِ

297 فَذَاكَ قِيَاسُ الأَمْرِ بِالأَمْرِ ذَا بَدَا قِيَاسُ الأُمُورِ بِالأُمُورِ النَّظَائِرِ

298 فَسَمٌ[5] نَبَا مِنْهَا رُبَّا[6] ذَاكُمُ اسْمُهُ عَلَى القَلْبِ وَالمُكَنَّا أَخَافُ كَظَاهِرِ

299 أَبِي مِنْ بَنِي بَرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ بَاغِطٍ[7] وَجَدُّ جُدُودِي قَيْس غَيْلاَنَ[8] بنَ آصِرِ[9] [06 و]

300 وَوَالِدَتِي مِنْ جَدِّ غَسَّانَ نَسَبُهَا وَكَانَ أَبُوهَا صَالِحًا غَيْرَ خَاسِرِ[10]

301 وَمَا ضَرَّنِي مَا فَاتَنِي بَعْدُ نِسْبَتِي خَلاَ الشُّرَفَاءِ مِنْ قُرَيْشٍ وَعَامِرِ

---

3 - في ن (ن) = العينين.

4 - في غيرها من النسخ: وبدالهم.

5 - في ن. (ن) = فسوي.

6 - في ن. (ن) = مهيار، قلت لعله اسم أو نعت لأحدهم وربما أراد مهيار الديلمي المغني والشاعر.

7 - في ن. (ج)، (ن) = عاصم. لم أصل إلى المراد من قوله هنا، قلت ربما يريد انتهاء نسبه.

8 - ينتقل إلى ذكر أصوله في النسب التي تنتمي إلى قيس غيلان من قبيلة من مضر من العدنانية ووالدته من غسان.

9 - في ن. (ج) =صابر.

10 - فيه اقتباس من قوله تعالى: " يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا " مريم، الآية 28.

302 إِذَا افْتَخَرَ الأَقْوَامُ يَوْمًا بِفَخْرِهِمْ[1] فَنَحْنُ بِهِ أَوْلَى بِعِلْمِ الجَمَاهِرِ[2]

303 وَإِنْ فَخَرُوا[3] بِالْمَجْدِ وَالحَمْدِ[4] وَالنَّدَا يُشِيرُونَ يَوْمًا نَحْوَنَا بِالشَّنَاتِرِ

304 لَنَا هِمَّةٌ تَعْلُوا عَلَى كُلِّ هِمَّةٍ وَأَمْوَالُنَا تُوفِي عَلَى كُلِّ دَاثِرِ

305 وَلاَ جُودَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلاَ مَالَ إِلاَّ مَا أَتَى بِالْمَتَاجِرِ

306 وَيَفْتَخِرِ الأَقْوَامُ[5] بِالْمَالِ وَالنَّدَا وَقَدْ سَرَقُوهَا مِنْ جَمِيعِ المَحَاضِرِ[6]

307 كَفَخْرِ البَغَايَا يَوْمَ عُرْسٍ وَحُلَّةٍ بِحِلْيَةِ رَبَّاتِ الإِمَاءِ العَوَاهِرِ

308 وَلَنْ يَكْسِبَ المَالَ الحَلاَلَ سِوَى امْرِئٍ يَجُوبُ البِلاَدَ[7] نَحْوَ غَانَةَ صَابِرِ

309 وَلَيْسَ يَهَابُ الحَرَّ وَالقَرَّ وَالتَّوَى[8] وَلاَ الشَّمْسَ وَالظَّلْمَاءَ ذَاتِ الدَّيَاجِرِ[9]

310 وَيَسْتَخْشِنُ المَوْطَاءَ إِذَا لاَنَ مَسُّهُ وَيَهْجُرُ رَبَّاتِ الحِجَالِ المَعَادِرِ

311 وَيَسْتَصْغِرُ الأَهْوَالَ مِنْ حَيْثُ أَقْبَلَتْ وَلَوْ أَنَّهَا أَمْثَالُ وَخْزِ الخَنَاجِرِ

---

1 - في ن. (ن)، (ب) = بفخر.

2 - قلت لعله يريد بقوله نحن أولى به من علم الجماهر وإحاطته بعلم الأنساب، الإشارة إلى كتابه " فتوح المغرب في تاريخ بلاد المغرب" (وهو كتاب مفقود)، أو إلى رسالته في تراجم رجال المسند.

3 - في ن. (ن) = فاخروا.

4 - في ن. (ن) = الجود.

5 - في ن. (ب)، (ن) = الجهّال.

6 - يتعرض الشاعر لظاهرة الإغارة ويخبرنا في مصادر المال وكيف يفتخر قطاع الطرق والصعاليك بأموالهم بينما ينزعوها من غيرهم مضيفا إن السبيل إلى كسب المال لا يكون إلا بقطع الفيافي والقفار وعدم الخوف من البرد والحر ولا من الظلام الحالك، كما أنه من صفات التاجر الأمين أن يكون حميد الأخلاق عفيفا عن الفواحش صبورا على النوازل....

7 - في ن (ب) = الموامي في ن. (ج)، (ن) = المهوامي.

8 - التوى = الضياع والخسارة.

9 - لعل تعبيره هذا مستوحا من تجربته التي قادته في رحلته الطويلة الثانية إلى بلاد السودان.

312 عَفِيفٌ عَنِ الفَحْشَا كَرِيمٌ عَنِ الخَنَا صَبُورٌ عَلَى البَلْوَى حَمِيدُ[1] التَّعَاشُـ

313 وَعَادَتُنَا الإِحْسَانُ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ وَعَادَاتُهُمْ فِينَا قَبِيحَ المَصَادِرِ

314 فَدُونَكُمُوهَا مِثْلَ عِقْدِ مُنَظَّمٍ مِنَ الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ صَافِي الجَوَاهـ

315 تَلُوحُ قَوَافِيهَا بِحُسْنِ بَيَانِهَا وَحُسْنِ مَعَانِيهَا كَوَشْيِ الحِبَـ

316 وَأُنْشِدَهَا بِكْرًا إِذَا مَا تَنَاشَدَتْ تَصِيخُ لَهَا الأَسْمَاعُ مِنْ كُلِّ شَاعـ

317 ويَغْلاَ لَهَا مَهْرٌ وَيُعْرَفُ فَضْلُهَا وَتُعْطَى[3] مِنَ الخُطَّابِ أَفْضَلَ مَاهـ

318 وَتُعْجِبُ خِلاَّنَ البَلاَغَةِ وَالنُّهَى وَتُعْجِزُ بِالأَقْلاَمِ سُودَ المَحَا

319 عَلَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُهَا مِنْ قَصِيدَةٍ وَقَلْبِيَ مَشْغُولٌ وَهَمِّي وَخَاطـ

320 بِحِلٍّ وَتَرْحَالٍ وَطُولِ مَشَقَّةٍ وَشُقَّةِ بُعْدِي[4] عَنْ بَنِيَّ الأَصَاغـ

321 وَتِذْكَارِ أَهْلِي طَالَ نَأْيِي[5] عَنْهُمُ وَأَرْحَامِ قُرْبَى مِنْ أَهَالِي الأَوَاصـ

322 وَإِخْوَانِ صِدْقٍ فِي المُلِمَّاتِ كُلِّهَا هُم نَاصِرِي فِي الأَمْرِ يَوْمَ التَّنَاصُـ

323 وَفَقْرِي وَوَقْرِي وَانْتِكَاسِي وَشَيْبَتِي وَتَوْدِيعِ أَيَّامِ الصِّبَى وَالخَوَافِرِ

324 وَرَوْعَاتِ[1] هَوْلِ المَوْتِ يَوْمَ نُزُولِهِ يُرَى المَرْءُ سَكْرَانًا وَلَيْسَ بِسَاكِرِ

---

[1] - في ن (ن) = جميل، يريد الشاعر في هذه الأبيات ذكر بعض خصال التاجر الأمين.

[2] - في ن. (ج)، (ن) =قباح، وفي ن (ب)، (ج)، (ن) = المناظر.

[3] - في ن. (ب) = تحي، يعود الوارجلاني مرة أخرى إلى الافتخار بقصيدته، فيشبِّهها بعقد منظم مثل يتيمة الدهر، ويغلا مهرها ويأتيها من الخطاب أفضلهم وأقدرهم وفي هذا تمثيل جميل وبديع.

[4] - في ن. (ن) = قلبي، وفي ن. (ب) = بعد.

[5] - نأي = بُعدي.

[6] - الوقر = الصمم من الكِبَر، تأمل شعر الوارجلاني هنا وهو بصدد شكوى الزمان والحال، وكيف تقدم به العمر واعتلاه الشيب وثقل سمعه، ثم يصور لنا شدة الشوق إلى أهله وأصدقائه وفلذات كبده، وفي تعبيره عن شيبه ووقره، دلالات قطعية على تأخر هذه الرحلة، لتكون ربما آخر رحلة طويلة في حياته.

325 إِذَا مَا أَتَى يَومٌ فَلَيْسَ يَرُدُّهُ ... حِجَابٌ وَلاَ بَابٌ وَلاَ سُور قَاهِرِ

326 تَزَوَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلٌ[3] ... وَآثِرْ هُدَاكَ عَنْ عَمَاكَ وَبَادِرِ

327 فَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ تُجْعَلُ فِي الثَّرَى ... وَتَدْخُلُ فِي أَطْبَاقِ أَرْضِ المَقَابِرِ

328 صَرِيعًا عَلَى الجَنْبَيْنِ غَيْرَ مُوَسَّدِ ... لَفِيفًا بِأَهْدَامِ الحَتِيفِ الخَنَاتِرِ[4]

329 فَرِيدًا وَحِيدًا سَاكِنًا قَعْرَ حُفْرَةٍ ... بَعِيدًا عَنِ الخِلاَّنِ وَالْمُتَزَاوِرِ

330 سَنِيحًا وَسَالَتْ حَدْقَتَا[5] عَيْنِ رَأْسِهِ ... عَلَى وَجْنَتَيْهِ بَلْ صَدِيدُ المَنَاخِرِ

331 وَصَارَ مَقِيلُ الدُّودِ فِي لَحْمِ جِسْمِهِ ... وَفُوهُ مَلاءٌ بِالتُّرَابِ المُبَاشِرِ

332 وَأَوْحَشَ رَائِيهِ وَحَالَتْ بِجُمْلَةٍ ... مَحَاسِنُهُ خُبْرًا وَسَبْرًا لِخَابِرِ

333 فَيَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ نَفْخَةً ... بِصَخْرَةِ بَيْتِ القُدْسِ ذَاتِ الخَطَائِرِ[6]

334 دَعَاهُمْ فَلَبُّوا وَاسْتَجَابُو بِحَمْدِهِ ... وَبُعْثِرَ أَصْحَابُ القُبُورِ الحَفَائِرِ[7] [06 ظ]

335 فَقَامُوا جَمِيعًا مُسْتَجِيبِينَ خُشَّعًا ... حَيَارَى كِسَارًا[8] نَحْوَ أَرْضِ المَحَاشِرِ

336 فَإِمَّا إِلَى نَارٍ وَإِمَّا لِجَنَّةٍ ... أَعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ رَبِّي وَفَاطِرِ

---

1 - في. ن (ن) = وروعة.

2 - يبدأ الشاعر هنا في وصف بعض مشاهد القيامة مستعملا الاقتباس: "وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد" الحج، 02. يدخل الشاعر هنا في شيء من الوعظ فيذكرنا بشعر أبي العتاهية وحكم علي بن أبي طالب.

3 - في. ن (ن) = رائح.

4 - في. النسخ الأخرى ورد: الخنافر.

5 - في. ن (ب) = جُرمتا.

6 - ينتهي إلى مشهد نفخ إسرافيل عليه السلام في البوق إيذانا ببدء البعث والنشور.

7 - اقتباس من القرآن الكريم: " أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور " العاديات 09.

8 - في ن. (ب) =سكارى، وقد ورد في هامش النسخة الأم: سكارى، ولعلها الأصوب.

337 مِنَ النَّارِ إِنَّ النَّارَ أَعْظَمُ حَسْرَةً[1] وَأَسْأَلُهُ جَنَّاتِ عَدْنِ الْمَجَاوِرِ

338 أَرَى أَحْرُفًا مَسْطُورَةً فِي مَفَارِقِي بِخَطٍّ إِلَهِيٍّ قَوِيمِ الْمَسَاطِرِ

339 فَقُلْتُ اقْرَؤُا قُرْآنَهَا وَتَبَيَّنُوا فَقَالُوا قُرْآنُهَا نَذِيرُ النَّذَائِرِ

340 رَحِيلِي مِنَ الدُّنْيَا لِيَوْمِ إِقَامَتِي[2] وَيَوْمٍ عَبُوسٍ قَمْطَرِيرِ الْقَمَاطِرِ[3]

341 تَشِيبُ لَهَا[4] الْوِلْدَانُ شَيْبًا لِهَوْلِهِ وَتَذْهَلُ فِيهِ مُرْضِعَاتُ الصَّغَائِرِ[5]

342 وَقَدْ أَذِنَ[6] اللَّهُ الْعِبَادَ لِهَوْلِهِ وَحَذَّرَهُمْ مِنْهُ فَهَلْ مِنْ مُحَاذِرِ

343 لِيَوْمٍ يَقُولُ اللَّهُ فِيهِ لِخَلْقِهِ مَعًا لِمَنِ الْمُلْكُ اسْمَعُوا لِلتَّحَاوُرِ

344 فَقَالَ مُجِيبًا هُوَ لِلَّهِ وَحْدَهُ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ[7] رَبُّ الْجَبَائِرِ[8]

345 فَيَا لَهْفَ نَفْسِي عَنْ مَقَامِي وَمَوْقِفِي غَدَاءً بِهَا إِنْ لَمْ أُقِرَّ لَمْ أُغَادِرِ[9]

346 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ لَا كَيْفَ حِيلَتِي إِذَا أُوبِقَتْ أَوْزَارُهُ كُلَّ وَازِرِ

347 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحِيرَتِي إِذَا قِيلَ تَقَدَّمْ لِلْحِسَابِ وَنَاظِرِ

---

1 - في ن. (ب) = خسرة.

2 - في ن. (ب) لدار إقامة.

3 - القمطرير = اليوم الشديد والطويل في البلاء.

4 - في ن. (ج)، (ن) = له، وفي ن. (ب) = تشيب الولدان شيبا لهوله.

5 - اقتباس من قوله تعالى: " وتضع كل ذات حمل حملها" الحج، آية 02.

6 - أذن = أعلم، يريد أن الله أعلم وأنذر العباد من أهوال الحساب وفي هذا آيات كثيرة، هنا اقتباس لقوله تعالى: "... وتذهل كل مرضعة عما أرضعت.." الحج، آية 02.

7 - في ن. (ج) = الجمائر.

8 - هذا اقتباس من قوله تعالى: " يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم.لله الواحد القهار" غافر، 16.

9 - يتحسر الشاعر ويتذلل خوفا من موقفه أمام الله يوم الحساب في سبع عشرة بيتا بديعا، وقد أجاد فيها الوصف والتصوير.

348 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَخَجْلَتِي — إِذَا قِيلَ هَذَا يُوسُفُ غَيْرُ شَاكِرِ

349 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — لِفَصْلِ القَضَاءِ فِي يَوْمِ مُوفٍ وَغَادِرِ

350 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — إِذَا افْضَحَتْنِي[1] فِي الحِسَابِ سَرَائِرِ[2]

351 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — إِذَا أُبْتُ مَغْبُونًا بِصَفْقَةِ خَاسِرِ

352 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — إِذَا جَاءَنِي أَمْرٌ[3] بِسَطْوَةِ قَاهِرِ

353 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — إِذَا مَا جَثَوْا لِلرُّكْبِ ثُمَّ الكَرَاكِرِ

354 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — إِذَا جَاءَنِي عَدْلٌ وَلَيْسَ بِجَائِرِ

355 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — إِذَا لَمْ أُسَامَحْ فِي نَقِيرِ النَّقَائِرِ

356 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — إِذَا لَمْ يَكُنْ مَوْلَايَ لَيْسَ بِعَاذِرِ[4]

357 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — إِذَا كُلِحَ الوَجْهُ العَظِيمُ المُشَافِرِ

358 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — إِذَا اسْوَدَّ وَجْهِي فِي الوُجُوهِ البَوَاسِرِ

359 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — إِذَا كَانَ سَهْمِي خَائِبًا غَيْرَ قَامِرِ[5]

360 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — إِذَا كَانَ سَعْيِيَ فِي المَسَاعِي الخَوَاسِرِ

361 وَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحَسْرَتِي — إِذَا فَازَ إِخْوَانِي وَلَمْ يَرْدَ سَائِرِ

362 خَرَجْنَا إِلَى الدُّنْيَا بِغَيْرِ مَشُورَةٍ[6] — وَكُلِّفْنَا فِيهَا وَلَمَّا نُشَاوَرِ

---

3 - في ن. (ن) – أحلي.

4 - في ن. (ب)، (ن) – بغافر.

5 - في ن. (ج)، (ن) – قاصر.

6 - يطرح الشاعر هنا قضية الجبر والاختيار، فقد كانت متداولة إلى عصره، كما اشتغل بها المتكلمون أمثاله.

363 وَذُقْنَا تَكَالِيفَ المَشَقَّةِ[1] بُرْهَةً ... وَنَخْرُجُ للأُخْرَى وَلَمَّا نُوَامِرِ

364 وَلَكِنَّ رَبَّ الخَلْقِ بَالِغٌ أَمْرَكُمْ[2] ... وَرَغَّبَ فِي الطَّاعَاتِ أَهْلَ البَصَائِرِ

365 وَأَنْذَرَ إِنْذَارًا وَأَعْذَرَ مِثْلَهَا ... وَمَكَّنَ أَسْبَابَ الهُدَى[3] وَالزَّوَاجِرِ

366 وَبَيَّنَ مَا يَأْتُونَ أَو يَتَّقُونَهُ ... وَأَنْزَلَ قُرْآنًا لَهُ فِي الزَّوَابِرِ

367 وَلَيْسَ لِلرَّحْمَنِ عَلَى الخَلْقِ حُجَّةٌ ... وَلاَ سِيَمَا المُغْتَرَّ مِنْهُمْ أَنَا بِرِ

368 فَمَنْ كَانَ مُرْجِئًا وَمُعْتَزِلاً لَهُ ... وَآخَرَ شِيعِيًّا سَوَى فِي التَّغَارُرِ[4]

369 فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَهْلُ تَقْوى تَقِيَّةٍ[5] ... وَمَغْفِرَةً مِنْ وَاسِعِ العَفْوِ غَافِرِ

370 وَغَيْرُهُمْ هَلْكَى بِقَعْرِ جَهَنَّمٍ ... وَنَارٍ تَلَظَّى لاَ تُدِينُ الفَوَاجِرِ[6]

371 لَعَلَّ إِلَهَ الخَلْقِ يَرْحَمُ ضُعْفَنَا ... ويَعْفُو بِخَيْرِ العَفْوِ مِنْ عَفْوِ قَادِرِ

372 سَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِحُسْنِ ثَنَائِهِ ... وَأَرْضَى بِهِ رَبًّا فَحَسْبِي وَنَاصِرِ

373 هُوَ اللَّهُ رَبُّ الخَلْقِ لاَ رَبَّ غَيْرَهُ ... هُوَ الحَيُّ ذُو الآلاَءِ أَشْكُرُ شَاكِرِ

374 أَعُدُّ سُرَاهَا ثُلْثَ أَلْفٍ مُنَيِّرٍ[7] ... ثَلاَثُ[1] مَائِينَ أَوْ تَزِيدُ كَمَا يُرِ[2][3]

[07 و]

---

[1] - في ن. (ب)، (ج)، (ن) - المعيشة، يريد أن الإنسان مكلف في هذه الدنيا وأن الله أعطاه الحرية وكلفه بالحساب.

[2] - في ن. (ب)، (ج)، (ن) - أمرهُ، اقتباس من قوله تعالى: " ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدرا " الطلاق، 03.

[3] - في ن (ب) - التقى، الزواجر - يريد وضع الحدود كالنار والعذاب الأليم، يريد أن الله قد أنذر وأعذر عباده.

[4] - لعله أراد ذكر بعض أقطاب المتورطين في ذكر الصفات و تجسيم الله من الفرق للكلامية المعروفة.

[5] - في ن (ن) نقية، يريد هنا سؤال المغفرة و الثواب

[6] - في ن (ب) (ن)لا تذر للفواجر.

[7] - في ن. (ب) - منّيفًا.

الخاتمة:

أخي القارئ هل تعرفنا حقا على تراث الأجداد وحاولنا فهمه وعملنا على تمثله، وسعينا لتجديده وإثرائه وجعله يتماشى ورقيّ المعرفة المعاصرة، ويساير تطور التجربة الإنسانية المعاشة؟

لاشك أن الإجابات قد تختلف هنا وتتعدد، ليفيد معظمها بأننا لم نفهم أبعاد تراثنا بعد، ومن أين نبدأ؟! وكيف نساهم في حفظه وترقيته؟ حتى نعطي ذلك التنوع حقه!

قلت إن العمل على حماية التراث وترقيته هو حفظ للذاكرة ونقل للتجارب الإنسانية الرائدة، ولعله لا أدل على ذلك إلاّ إعجاب الغربيين منذ بداية الاحتلال الأجنبي لبلادنا الإسلامية إلى تاريخ اليوم بعادات مجتمعاتنا المختلفة، محاولين فهمها ودراستها، ناقلين عن قصد ودراية في الوقت نفسه القيم الإنسانية النبيلة ومعالم الحضارة التي يفتقدونها في مجتمعاتهم.

---

[1] - في ن. (ب) =ثلاث.

[2] - في ن. (أ) على الهامش ورد = فُر، وفي ن. (ب) = قر .

[3] - يرقع دون تدقيق عدد الأبيات على عادة شعراء تلك الفترة أن أبيات القصيدة يزيد على ثلاثمائة كما قرأها وربما لم يدونها وكانت من أماليه على تلاميذه أو جلسائه، كما وتلاحظ تداخل المواضيع والأغراض وعدم ترابطها وتسلسلها، فمن هنا يبدأ الإشكال في عدد أبياتها كما أشار إلى ذلك الدرجيني في طبقاته، ينظر: الدرجيني، ج2 ص 494، * لعلك تلاحظ تشابه النسخة (أ) والنسخة (ج) من جهة، ووجود تشابه كبير أيضا بين النسخة (ب) والنسخة (ن)، قلت لعل النُسّاخ قد نقلوا من مصادر متقاربة.

أخي أختي اعلموا أنه لابد من مراجعة طريقة التعامل مع تراثنا أوّلاً، وذلك بدأً بإعادة التعرف على أبعاده ومنطلقاته الحضارية، وانتهاءً بتبسيطه لشرائح المجتمع المختلفة، حتى ينهلوا منه دروسًا وعبرًا في تعاملاتهم اليومية.

فقد تنطلق من إشراك من حولك مثلاً في التعرف على النظام التقليدي لتقسيم مياه الأمطار الموسمية في بعض مناطق صحرائنا الحبيبة، ليدرك السامع بعد تلقّيه مجموعة من الشروحات الوافية حول نشأة هذا النظام، فعاليته وطريقة عمله... بأنّ ضرورة صيانته والمساهمة في المحافظة عليه هو اعتراف ضمنيٌّ بأهمية ذلك النظام في استمرار الحياة بتلك الصحراء القاحلة والجبال الصخرية القاسية، وهو اعتراف وتقدير أيضا بعبقرية صانعيه...

إن كلّ أملي في أن يكون هذا العمل الذي أسعد بتقديمه للقارئ الكريم أداة عمل يستفيد منها المهتمون بالتراث، وينتفع منه خاصة الباحثون في الدراسات الاجتماعية والإنسانية في تعاملهم مع النصوص الأدبية والتاريخية، وكذا في الأوصاف الجغرافية والأثرية.

يحي بن بهون.

الملاحق

قصيدة الوارجلاني في رثاء شيخه

الشيخ أبو سليمان أيوب بن إسماعيل[1] (ت: 524 هـ/1129م)

01 أَيُّـــوبُ مَـــا أَيُّـــوبُ لاَ أَيُّـــوبُ[2] ‏ أودَى بِهِ قَـــدَرُ الـــرَّدَى[3] المَجلُـــوبُ

02 فَتَلوَّثَـــــت أيامُـــــهُ وَتَـــــصَرَّمت ‏ حِينًـــا عَليـــهِ، وَلِلـــرَّدَى تَعقِيـــبُ

03 عَلِقَتهُ أشرَاكُ الـــرَّدَى مِـــن بَعـــدِمَا ‏ أوفَى عَلىَ مَائةٍ[4]، وَجَـــابَ الجَـــوبُ[5]

04 مَا خُطَّ فِي المَكتُوبِ لاَ يُخطِأُ الفَتَى ‏ وَكَـــذَا الفَتَـــى لاَ يُخطِـــأُهُ المَكتُـــوبُ

05 حَكَمَت عَليهِ يَـــدُ المَنِيَّـــةِ حُكمَهَـــا ‏ قَبـــلَ المَمَـــاتِ، وَلوَّحَتـــهُ خُطـــوُبُ

06 سَدَكَت[6] بِهِ أمرَاضُـــهُ وَتَنَحَّلَـــت ‏ أوصَـــالُهُ، لَـــم يُـــشفَ مِنـــهُ طَبِيـــبُ

07 دَبَّ البَلاَءُ بِجِـــسمِهِ بَعـــدَ البِلَـــى ‏ فَلِلَّـــهِ بِـــهِ طُـــولَ الحيـــاةِ دَبِيـــبُ

08 ذَهَبَت بَشَاشَتُهُ وَشَـــرَت مَـــا بِـــهِ ‏ وَعَلاَهُ مِن بَعـــدِ الـــشُّحُوبِ شُـــحُوبُ

---

[1] - هو الشيخ أبو سليمان أيوب بن إسماعيل(ت: 524 هـ/1129م)، هو كما قال عنه الدرجيني: "بحر تتقاذف في غواربه السفن، وبدر يقتدي به من اقتفى من المقتفين، إن سُئل في العلم أجاب فأقنع، وإن استسبل غيث سمائه في سماحة صاحب فأوسع، وإن استسقي فيهما معا أروى فأنقع...، وهو ممن وُقِفَ على علاماته، وشوهد عجائبُ كراماته...". ينظر: طبقات المشائخ، ج2، ص459 وما بعدها.

[2] - أسلوب التوكيد بتكرار اللفظ.

[3] - الرَّدى = الموت.

[4] - يريد أن الشيخ أبو سليمان عاش مئة سنة.

[5] - جاب الجوب: أي نقر الصخرة، قلت هي كناية عن طول العمر فهو عاش حتى نقر صخرة العمر.

[6] - سدكت = لصقت به ولزمته الأمراض، لسان العرب، ج4 ص1257.

09 وَتَغَيَّـرَت مِنـهُ المَحَاسِـنُ كُلُّهـا فَتَؤُوبُ حِينًـا، ثُـمَّ بَعـدُ تَلُـوبُ[1]
10 حتَّى تَخَيَّـل كالخَيَـالِ خَيالُـهُ بَعـدَ النَّضَارَةِ وَالـرِّدَاءُ قَشِيبُ
11 فَانسَلَّ مِنـهُ الـرُّوحَ عِنـدَ وَفَاتِـهِ بِـأَبِي وَأُمِّـي الطَّـاهِرِ المَسلُوبِ
12 بَل مَاتَ سَبعَ سِنِينَ قَبـلَ مَمَاتِـهِ لَم يَبـقَ إلاَّ الـرُّوحُ وَالتَّركِيـبُ[2]
13 فِي كُـلِّ مَـا يَـومٍ يَمُـرُّ وَلَيلَـةٍ أَبَـدًا يُقلِّـبُ ظَهـرَهُ التَّقلِيـبُ[3]
14 ضَاهَ النَّبِـيَّ سَمِيَّهُ[4] فِـي دَأبِـهِ إذِ البَلاَيَـا بِجَنبَيـهِ تَـذُوبُ
15 فَلِذَا عَـدَا الـدَّهرَ المَلُـومَ بِصَرفِهِ فَكَـذَاكَ كَـانَ سَمِيُّهُ أَيُّـوبُ
16 قَـد كَـانَ ذِكـرَى لِلعِبَـادِ وَرَحمَـةً لِلعَـالَمِينَ، وَإِنَّـهُ لَمُنِيـبُ
17 فَلَئِن أَتَـى أَيُّـوبُ يَطلُـبُ أَجـرَهُ يَـومَ القِيَامَـةِ وَالإِلَـهُ مُثِيـبُ
18 وَأَتَـى إِمَـامُ الصَّابِرِينَ يَقُـودُهُم فَلأَنـتَ أَنـتَ الصَّابِرُ المَنكُـوبُ
19 وَلَئِن أَتَى يَحيَى الحَصُورُ سَيِّدًا لَهُـو الحَصُورُ السَّيِّدُ المَحبُـوبُ
20 وَلَئِن أَتَى عِيسَى بن مَـريَمَ زَاهِـدًا لَعَلَـى هُـدَاهُ، وَهَديُـهُ المَحبُـوبُ
21 وَلَئِن أَتَى يَعقُوبُ يَحتَسِبُ ابنَـهُ إذ غَـابَ عَنـهُ وَانحَنَـى يَعقُـوبُ
22 فَلَكَـانَ هَـذَا أَعظَـمَ رَنَّـوةً مِـن مُثكَلاَتٍ[5] جُلُّهُـنَّ رُقُـوبُ
23 بَكَتِ السَّمَاوَاتُ العُلَـى وَنُجُومُهَـا حُزنًـا عَلَيـهِ، وَالفَـلاَ[1] وَالـرُّوبُ[2]

---

[1] - تَلُوبُ - تحوم، لسان العرب، ج2 ص896.

[2] - قلت إن الشاعر يريد هنا أن شيخه قد غُيّب عن الناس بسبب مرضه سبع سنين.

[3] - لقد عانى الشيخ أبو سليمان من مرضه كثيرا، حيث ذكر الدرجيني في الطبقات أنه أصيب بالجذام على ما حكى له والده حين زاره في منزله بوارجلان. ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص461.

[4] - سميه - المسمى باسمه، ويريد سيدنا أيوب ﷺ الذي يضرب به المثل في الصبر.

[5] - المثكلات - ج مثكلة، وهي الأم التي فقدت وحيدها.

24 واستَوحَشَت منهُ المَساجِدُ كُلُّهَا لَمَّا خَلَت منهُ، وَحَنَّ النِّيبُ

25 واستَشعَرَ التَّقوَى شِعَارًا خَالِصًا فَدِثَارُهُ التَّرغِيبُ والتَّرهِيبُ

26 أَلِفَ التُّقَى فاعتَادَ حِبَالَهُ وَجَفَى الذُّنُوبَ، وَقَد جَفَتهُ ذُنُوبُ

27 سَبَقَ الخَلائِقَ كَالجَوَادِ بِشِدَّةٍ لَمَّا استَوَى عَنقًا بِهِ الأُلهُوبُ[3]

28 بَدَّ[4] السَّوَابِقَ كُلَّهَا مُتَهَلِّلاً كَيفَ السُّؤَالُ إِذَا احتَمَى اليَعبُوبُ[5]

29 فَضُلَت[6] فَضَائِلُهُ الفَضَائِلَ كُلَّهَا وَاهًا لِجِسمٍ لَم تَشِنهُ عُيُوبُ

30 رَجُلٌ أَتَاهُ اللهُ رَبِّي بَسطَةً فِي العِلمِ، وَالجِسمُ[7] الكَرِيمُ لَبِيبُ

31 للهِ عَبدٌ خَالِصٌ مُتَخَشِّعٌ مُتَهَلِّلٌ، مُتَهَيِّئٌ، مَتعُوبُ

32 عَبدٌ دَعَاهُ إِلَهُهُ فَأَجَابَهُ لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّهُ مَربُوبُ

33 مَنَحَتهُ أَبصَارُ العِبَادِ مَحَبَّةً لَمَّا رَأَتهُ، وَالوِدادُ قُلُوبُ

34 طَابَ الثَّنَاءُ بِهِ، فَطَابَ رِثَاؤُهُ وَالمَدحُ وَالتَّبيِينُ وَالتَّقرِيبُ

35 أَضحَى أَسِيرَ اللهِ فِي أَيَّامِهِ فِي العَالَمِينَ، وَحَالُهُ مَغلُوبُ

36 وَالعَقلُ أَوفَرُ مَا يَكُونُ[8]، وَإِنَّهُ كَالشَّمسِ نُورٌ ثَاقِبٌ مَثقُوبُ

---

1 - الفلا - ج فلاة، وهي الصحراء الخالية.

2 - الروب - ج ربوة، وهي مرتفع أصغر من الجبل.

3 - الألهوب - ج ألهب، وهو الحصان السريع.

4 - بَدَّ - غلب وسبق.

5 - اليعبوب -

6 - فَضُلَت - أشرفت وعلت.

7 - اقتباس من قوله تعالى: " إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم... " البقرة، 247.

8 - ذكر الدرجيني في كتابه " طبقات المشائخ بالمغرب" مجموعة كبيرة من المشائخ تقدموا في السن وعمروا طويلا، لكن الخَرَفَ لم ينل منهم بل حفظ الله لهم صحة عقولهم حتى ماتوا، ولا تكون هذه الخاصية إلا في الصالحين.

37 وَجهٌ أغَرُّ، وَشِيمَةٌ وَجَلاَلَةٌ مِن نُورِ رَبِّ العَرشِ، وَهُو مُهِيبُ
38 يَا غَائِبًا مَا تَنقَضِي حَسَرَاتُنَا أَبَدًا عَلَيهِ، وَلاَتَ حِينَ يَئُوبُ
39 يَا غَائِبًا سَكَنَ الثَّرَى فِي حُفرَةٍ تَعلُو الصَّفَائِحُ[1] قَبرَهُ وَالطُّوبُ
40 إن غِبتَ عَن أبصَارِنَا وَسَمَاعِنَا لَم تَحتَجِبكَ عَنِ القُلُوبِ غُيُوبُ
41 قَد كَانَ آنَ لَكَ الجَوَابُ لِسَائِلٍ يَدعُو، وَيَسأَلُ كَيفَ كُنتَ تُجِيبُ؟
42 مَا كَانَ ضَرَّكَ لَو أَجَبتَ نِدَاءَهُ إنَّ الحَشَا ضَرِمٌ، وَأَنتَ قَرِيبُ
43 فَلَئِن رَحَلتَ وَغِبتَ عَنَّا مَيِّتًا لَلحُزنُ فِي الدُّنيَا عَلَيَّ رَقِيبُ
44 وَلَقَد رَأَيتُ الخَلقَ يَومَ مُصَابِهِ وَالنَّعشُ بَعدَ لِقَاهُمُ مَركُوبُ
45 حَيرًا سُكَارَى، هَائِمِينَ لِمَا بِهِم زُمَرًا حَيَارَى، مُردِهِم وَالشِّيبُ
46 تَبكِي لِصَرعَتِهِ الغَوَانِي نَوَادِبًا عَونَ النِّسَاءِ، وَغَادَةٌ رُعبُوبُ[2]
47 فِي مَأتَمٍ حُورِ المَدَامِعِ قَرِحٍ كَادَت تُمَزَّقُ أَثوُبٌ وَجُيُوبُ
48 وَإِذَا انتَحَبنَ تَفَرَّقَت أَكبَادُنَا وتَصَدَّعَت مِنهُ القُلُوبُ الهِيبُ
49 خَطبٌ أَجَلُّ، وَعَبرَةٌ مَسفُوحَةٌ مُهرَاقَةٌ، إنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ
50 وَعَلَى النَّحِيبُ عَلَى رُؤُوسِ العَالَمِينَ الحَاضِرِينَ وَأَينَ مِنهُ نَحِيبُ!
51 وَتَرَى العُيُونَ مِنَ الدُّمُوعِ كَأَنَّهَا دِيَمُ[3] السَّمَاءِ تَهمِي الحَيَا وَتَصُوبُ
52 وَإِذَا دَعَونَ تَرَنُّمًا وَتَفَجُّعًا وَأَعمَهُنَّ، تَهَتُّك المَحجُوب
53 وَإِذَا تَرَاجَعنَ البُكَاءَ تَفَطَّرَت مِنهَا النُّفُوسُ، وَلِلقُلُوبِ وَجِيبُ

---

[1] - الصفائح = الحجارة المسطحة والعريضة.

[2] - رعبوب = المرأة الحسناء.

[3] - الدم = المطر.

54 يَا يَومَ مَاتَ وَلَمْ أَمُتْ كَمَدًا لَهُ   أَعظِم بِهِ حُزنًا عَلَيَّ نَدِيبُ

55 يَا رَجَّةً لِلعَالَمِينَ لِفَقدِهِم   عَلَمَ الهُدَى، وَتَعَذَّرَ الأُسلُوبُ

56 عَمَدُوا إِلَى جَبَلٍ ظَلِيلٍ ظِلُّهُ   سَكَنُوا ذُرَاهُ، وَرَأسُهُ لَشَحُوبُ

57 جَعَلُوهُ تَحتَ الأَرضِ ثُمَّ تَنَعَّمُوا   يَا لِلخَلاَئِقِ، إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ!

58 لَهفِي عَلَى الظِّلِّ الَّذِي ضَمَّنَتهُ   بَطنُ الثَّرَى، وَالمُستَرَادُ رَحِيبُ

59 جَادَت بِهِ الدُّنيَا وَثُمَّ بَدَا لَهَا   سَلَبَتهُ، إِنَّ السَّالِبَ المَسلُوبُ

60 نَسِيَت مَنَاقِبَهُ الَّتِي سُلِبَت لَهُ   وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ الطَّيِّبُ

61 فَالدِّينُ يَبكِي شَجوَهُ مِن فَقدِهِ   بِحَلاَلِهِ وَحَرَامِهِ مَنسُوبُ

62 فَكَأَنَّ مَجلِسَهُ مَسَاجِدُ أُسِّسَت   سَكَنًا عَلَى تَقوَى، وَلاَ تَصخِيبُ،

63 يَعلُوهُمُ فِيهِ الوَقَارُ تَخَشُّعًا   إِنَّ الطُّيورَ عَلَى الرُّؤُوسِ رَقِيبُ[1]

64 لَم يَشنَأُوا فِيهِ بِغِيبَةِ غَائِبٍ   سَفَهًا، وَلاَ نَبزٌ، وَلاَ تَقلِيبُ

65 طُوبَى لَهُ، عُمرًا طَوِيلاً خَالِصًا   فِي طَاعَةِ الرَّحمَنِ، وَهُوَ أَدِيبُ

66 مَن لِلصَّلاَةِ بِجَوفِ لَيلٍ مُظلِمٍ   وَاللَّيلُ أَسوَدُ حَالِكٌ وَغِرِيبُ؟

67 أَو لِلصِّيَامِ إِذَا تَطَاوَلَ يَومُهُ   وَامتَدَّ طَرَفَاهُ وَهَاجَ لَهِيبُ

68 أَو لِليَتَامَى وَالأَرَامِلِ بَعدَهُ   وَتَوَاتَرَت فِي العَالَمِينَ حُرُوبُ

69 أَو لِلأُمُورِ إِذَا تَفَاقَمَ هَولُهَا   أَهلُ النُّهَى، وَالرَّأيُ بَعدُ غَرِيبُ

70 وَتَفَاقَمَ الفَقدُ العَظِيمُ لِفَقدِهِ   وَلَرُبَّمَا هَانَت عَلَيهِ خُطُوبُ

71 فِي المُعظِلاَتِ تَلاَحَكَت[2] وَتَلاَبَكَت   واستَعجَمَت، وَاستُبهِمَ المَطلُوبُ

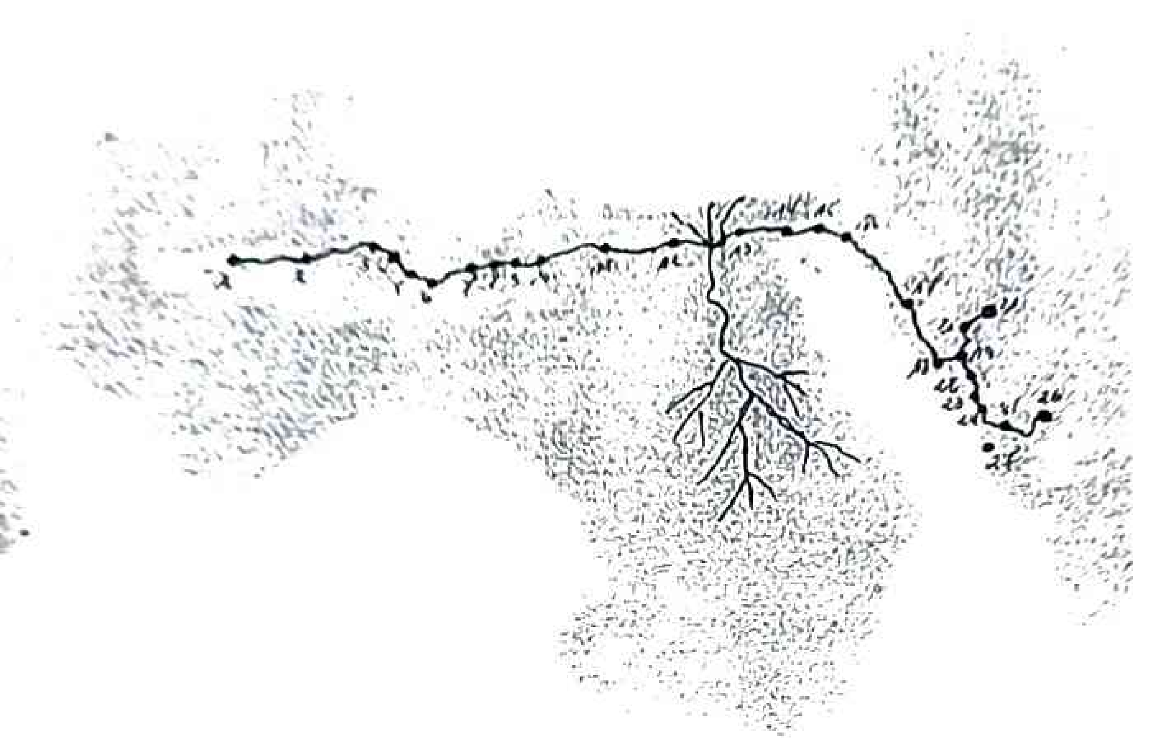
---

[1] - هنا كناية عن مجلسه الذي يسود فيه الهدوء.

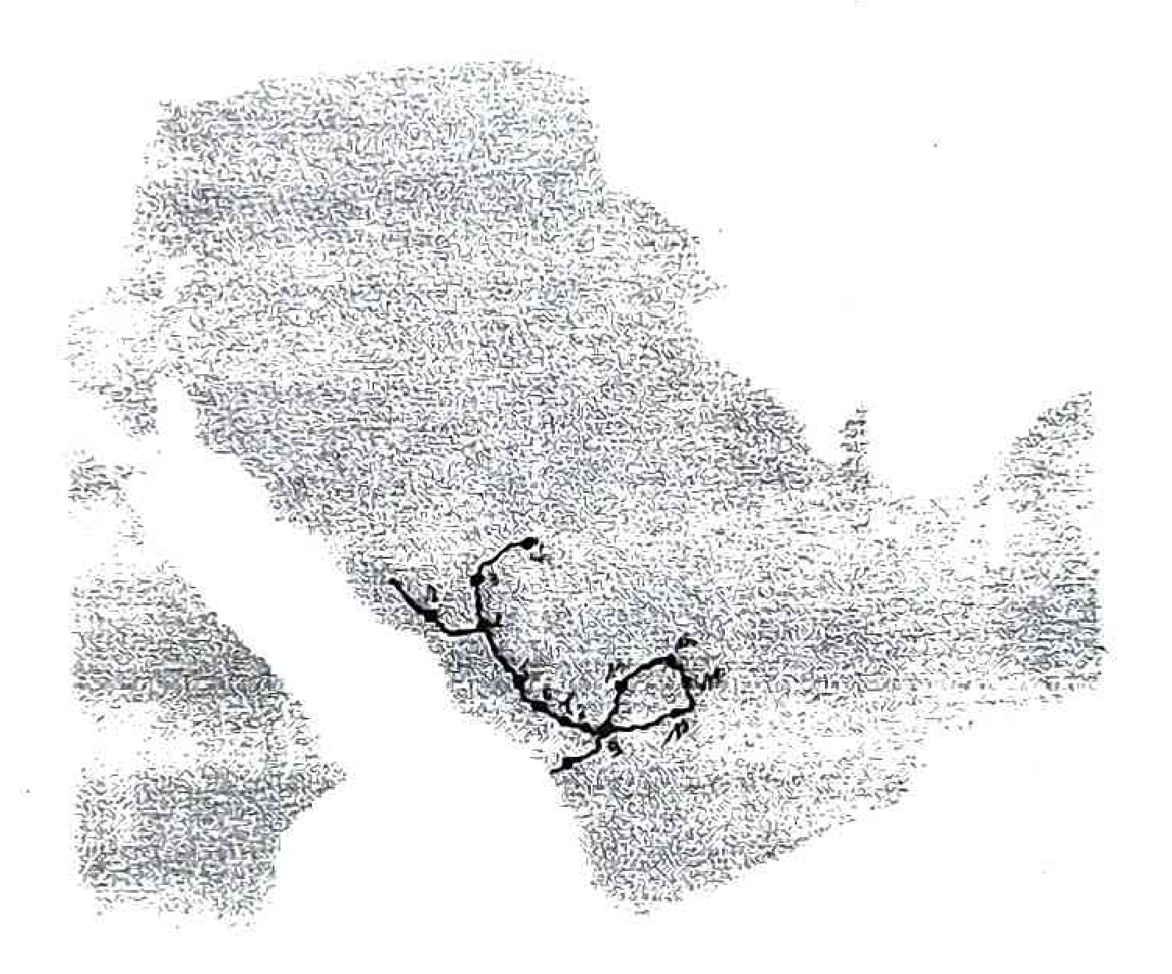
[2] - تلاحكت الأمور = تداخلت والتصقت بعضها ببعض، وتلابك الأمر = إذا اختلط والتبس.

72 أو لِلجُمُــوعِ إذَا أَتَــت وَتَبَايَنَــت وَعَــلاَ الكَــلاَمُ، فَجَفَّــفَ الخَطِيــبُ
73 وَتَرَى الخَلاَئِقَ أُفحِمُــوا، وَتَهَــافَتُوا وَالنَّــاسُ مِنــهُم مُخطِــئٌ وَمُــصِيبٌ
74 يَكفِيكَ، بَل يَشفِيكَ مِمَّــا تَرتَجِــي فَهُــو الخَطِيــبُ وَإِنَّــهُ لَمُنِيــبُ
75 جَمَعَت مَحَاسِــنُهُ المَكَــارِمَ كُلَّهَــا وَالمُــسلِمُونَ خَلاَئِــقٌ وَضُــرُوبُ
76 مَا ضَــرَّنَا مَــا فَاتَنَــا مِــن بَعــدِهِ لَمْ تَبــقَ إلاَّ رَوضَــةٌ وَكَثِيــبُ
77 مَا يَعبَــأُ الأَعمَــى بِظُلمَــةِ لَيلَــةٍ أو حَالَ مِن شَــمسِ النَّهَــارِ غُــرُوبُ
78 فَعَلَيــهِ رَحمَــةُ رَبِّــهِ وَسَــلاَمُهُ حَتَّــى القِيَامَــةِ وَالإِلَــهُ وَهُــوبُ
79 سَبَقَت بِــهِ الأَيَّــامُ بَــاقِي دَهرِنَــا فَمَــضَى وَمَــا أَدرَاكَ مَــا أَيُّــوبُ
80 خُلِقَ ابــنُ آدَمَ عُرضَــةً لِمَهَالِــكَ إِنَّ المَنِيَّــةَ يَومُهَــا لَعَــصِيبُ

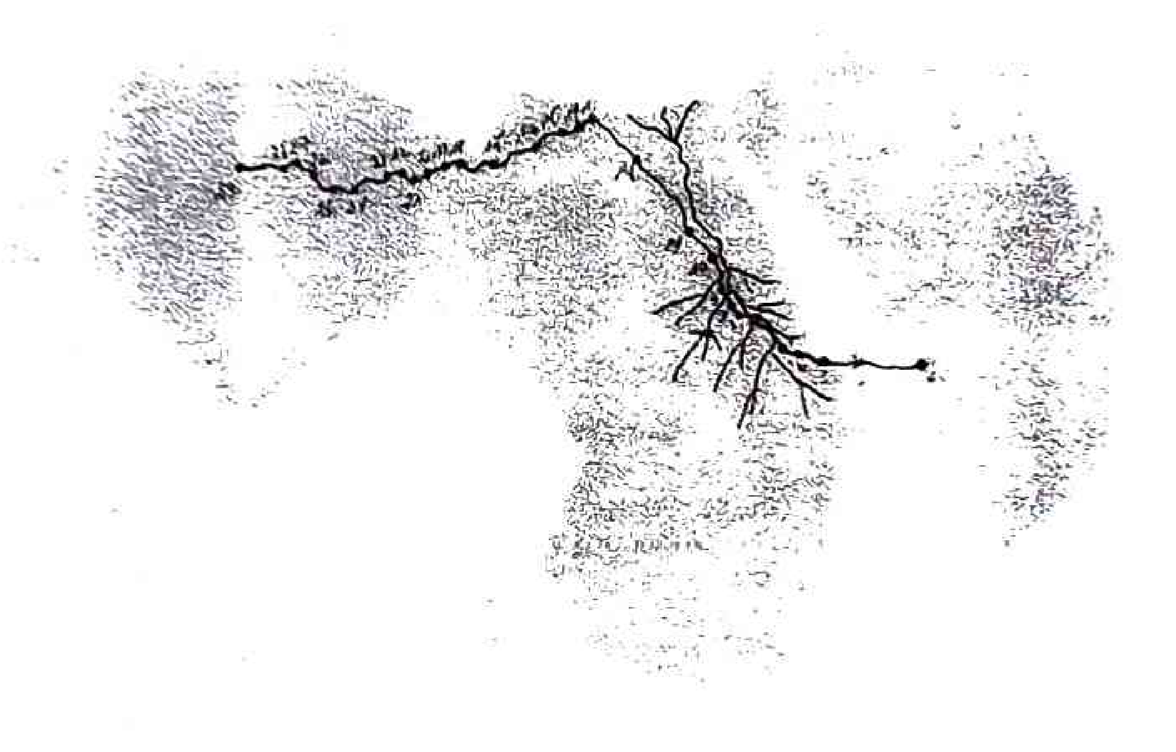
انتهت القصيدة.



الشكل(أ): المسلك الذي اتخذه الوارجلاني في رحلته قاصدًا المشرق.



الشكل (ب): مسلك الوارجلاني في أداءه مناسك الحجّ.



الشكل(ج): مسلك الوارجلاني في رحلة العودة إلى وطنه.

* الشكل(أ):مسلك الوارجلاني قاصدًا المشرق.

1.وارجلان
2.غدامس
3.فزان (جبل نفوسة)
4.جرمة
5.سبها
6.زويلة
7.ودّان
8.جالو (جادو)
9.بئر ابن المكسّر
10.تبارا
11.دير النصارى
12.الإسكندرية
13.القاهرة
14.القلزم ــ البحر الأحمر ــ.
15.حسمى
16.أيلة (ايلات)
17.الحوراء
18.ينبع
19.العقيق
20.ذو الحليفة (ميقات أهل المدينة)
21.يثرب (المدينة المنوّرة)
22.بدر
23.البزواء
24.جحفة
25.عسفان
26.مكة المكرّمة (الكعبة)
27.جدّة (الميناء)

*** الشكل (ب): مسلكه في أداء مناسك الحجّ.**

1. ينبع
2. ذو الحليفة
3. يثرب
4. العقيق
5. بدر
6. البزواء
7. الجحفة
8. عسفان
9. مكة
10. عرفات(جبل)
11. مزدلفة(جُمَع)
12. واد المحسّر
13. منى
14. جدّة(الميناء)

*** الشكل(ج): مسلك الوارجلاني عائـداً إلى وطنه.**

1. جدّة
2. بحر القلزم (البحر الأحمر)
3. البجا
4. قوص
5. نفط
6. أخميم
7. أسيوط
8. أشمونين
9. فَبَسا
10. طَنَبدا
11. منية القائد
12. كرم شريك
13. بحيرة الإسكندرية
14. دير النّصارى
15. العُقَـاب
16. لُبْنَة
17. رُمّـادة
18. شِماس
19. بئر ابن المكسر
20. تبارا
21. أوْجلة
22. سَنْترِية
23. قصر زلة (زويلة)
24. وُدّان
25. جبل الهاروج
26. تمزا (تمسا)
27. دَرَج
28. غَدَامِس
29. وَارِجْلان

الورقة الأولى من القصيدة الحجازية للوارجلاني، النسخة الأم ـ أ ـ.

لاحظ جهود المرمم في إصلاح الورق.

الورقة الثانية من القصيدة الحجازية للوارجلاني، النسخة _أ_.

لعلك تلاحظ تداخل الخطوط.

قصيدة الشيخ المرحوم رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على نبينا محمد وآله وسلم تسليما وقال معلم التسبيح

الورقة الأخيرة من القصيدة الحجازية للوارجلاني، النسخة الأم ـ أ ـ.

الفهارس

فهرس الموضوعات

فهرس القبائل

(أ)

(ر، ز)

(ع، غ)

(ط، ظ)

(س، ش)

(ق)، (ك)، (هـ)

(م)، (ن)، (ل)

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ج، ح، خ)

(د، ذ)

(ر، ز)

(ع، غ)

فهرس الأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح، خ)

(د، ذ)

(ر، ز)

(ع، غ)

(ص، ض)

(ط، ظ)

(س، ش)

(ف، ق)

(ك)، (هـ)

(و)

(ن)

(ل)

(م)

(ي)

فهرس الآيات القرآنية

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

2. القصيدة الحجازية، أبو يعقوب يوسف الوارجلاني عدة نسخ مخطوطة.

3. أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، توفي 670 هـ "طبقات المشائخ بالمغرب" تحقيق إبراهيم طلاي، ط1، مطبعة البعث (قسنطينة)، 1975.

4. أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، ت928 هـ "كتاب السير" (طح).

5. أبو العباس أحمد القلقشندي، (756 – 821 هـ) "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب"، تحق إبراهيم الأبياري ط1. الشركة العربية للطباعة، بمصر 1959.

6. امحمد بن يوسف أطفيش، "إن لم تعرف الإباضية" (طح) ضمن مجموع د.ت.

7. أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني، "الدليل والبرهان"، تحقيق الشيخ سالم بن حمد الحارثي، ط1، 1983، 3 أجزاء، وزارة التراث القومي عُمان.

8. أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، " العدل و الإنصاف " (طح).

9. البرادي، "الجواهر المنتقاة" (ط ح)، (د، ت).

10. أوعشت بكير، " أبو يعقوب يوسف الوارجلاني " المطبعة العربية، غرداية، 1996.

11. أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، ت 460 هـ "المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" ط1. مكتبة أمريكا والشرق الأوسط، باريس 1965.

12. جمعية التراث، " معجم أعلام الإباضية " (4 أجزاء) المطبعة العربية 1999.

13. خير الدين الزركلي، الأعلام " 8ج، ط11، 1995.

14. عبد الله بن حميد السالمي، "الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب" ج1، (طح).

15. علي يحي معمر، "الإباضية في موكب التاريخ" المطبعة العربية، 1970.

16. عادل نويهض، "معجم أعلام الجزائر" مؤسسة نويهض الثقافية، 1978.

17. مبارك الميلي، "تاريخ الجزائر القديم والحديث" مطبعة البحث، ط2، 1972.

18. عبد الرحمان الجيلالي، "تاريخ الجزائر العام"، ج1، المطبعة العربية، 1953.

19. عمر سليمان بوعصبانة: "معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان (296هـ – 626هـ /909م – 1229م"، رسالة ماجستير _المعهد الوطني العالي لأصول الدين_ 1991-1992، إشراف محمد سويسي.

20. مصطفى باجو، "أبو يعقوب الوارجلاني وفكره الأصولي مقارنة بأبي حامد الغزالي"، رسالة ماجستير – جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 1992- 1993.

21. ياقوت الحموي ت 626هـ، "معجم البلدان" (4 أجزاء)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط4، 1995.

22. محمد عبد السلام هارون، "تحقيق النصوص و نشرها"، مكتبة السنة للدار السلفية، مصر، ط5، 1994.

23. مصطفى أبو ضيف، "القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين".

24. ابن منظور محمد بن مكرم، "لسان العرب"، دار صادر بيروت، 1992.

25. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري " تهذيب اللغة "، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 1968.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

تقديم:

أدب الرحلة، أو الكتابات التي صدرت عن الرحالة تعتبر من المواضيع الهامة التي طبعت الفكر العربي طيلة العصور الوسطى والحديثة، والباحث في التاريخ الإسلامي يلاحظ أن معظم ما كتب حول المجتمع وحول المدينة الإسلامية مصدره الأول الرحالة ـ ومهما كان الغرض من الرحلة التي غالبا ما كانت للبقاع المقدسة أو للتجارة أو إفادة للتمثيل الدبلوماسي، أو لطلب العلم، بل وحتى للمشاركة في الفتوحات الإسلامية، كلها أعطت للمؤرخ كمّا هائلا من المعطيات والأوصاف والتقارير والملاحظات القيمة التي استشف منها التاريخ الإسلامي.

لم يكن الهدف من كتابة المذكرات والأحداث المعاشة والأوصاف المميزة لمختلف الفوارق في العادات والتقاليد، وفي هندسة البناء، والكشف عن أسرار المواقع بذكر أنواع الحيوانات والنباتات، هو التأسيس لمدرسة جديدة في الأدب، بل هذا الأدب فرض مدرسة جديدة أصبحت تعرف بـ " أدب الرحلة "، وأسست لعلم الجغرافيا مثل ما قدمه في هذا المجال الإدريسي وابن حوقل والبكري وابن جبير والعياشي والورثلاني وابن بطوطة والوزان..والقائمة طويلة من الذين قدموا هذه الرحلات على

أنها استكشافات وتعريف بالممالك والمسالك والدروب، والمدن والأمصار، والأشجار والثمار، فأرخوا عن غير قصد لمجتمعات وقبائل لم تكن معروفة من قبل، وقدموا لنا تجارب عادات وتقاليد لم يكن المجتمع العربي يـــدري كنهها ومصدرها.

رغم أن الجوانب التركيبية للرحلات أو المذكرات غالبا ما كانت تفرض تجليات وتمثلات تسمح باتخاذ التراكيب اللغوية المتعارف عليها في المجتمع الذي يعيش فيه الرحالة وغالبا ما كانت تكتب نثرا، أو بـــدعمها برجز أخضعت المحتوى فيه إلى ضرورة القافية والوزن، كما تقدم في قالب شعري، بعضها مقبول والبعض الآخر قصائد ممتازة تعكس ثروته اللغويـــة وتكوينه الأدبي مما يبرز المحيط الفكري الذي كان سائدا في عصره وتحكمه في أدبيات الكتابة، فجاء المضمون والشكل يعبران عن ثقافة العصر وثقافة الرحالة.

رغم تعدد الجوانب التركيبية للرحلة، كان الواحد مـــن هـــؤلاء الرحالة ضالعا في علمي البلاغة والعروض، وملما بـــالأوزان والقـــوافي، فكانت هذه المذكرات مؤلفات تاريخية، تحكي صورة واقعية في قوالـــب أدبية لم يلتزم أصحابها بفكر مذهبي معين وتحرروا من الأحداث السياسية في غالب المواضيع التي كتبوا عنها، ولم يؤمنوا إلا بالإنسان فجعلوا منـــه قضية أخلاقية واجتماعية وحضارية.

إذا كان أدب الرحلة قد أعطى للمؤرخ المادة العلمية في إطارها المكاني دون الزماني أي أنه كان شاهدا على زمانه لكنه قدم ملاحظاته ووصفه لما وجده عليه هذا الأثر أو هذه المدينة لتبدأ مرحلة جديدة في حياة هذه المعالم، بينما توضح لنا المادة التي تركها لنا الرحالة عدة جوانب من الألوان الفكرية، والخطوط التي كانت تكتب بها هذه الأفكار، ونوع الكتابات والمادة التي كتبت بها هذه المخطوطات من حبر وأقلام، وطرق صناعة الكتاب التي كانت سائدة، والطرق الفنية في تجليد هذه الكتب، والبحث في هذا كله أصبح يعرف بعلم المخطوطات أو "الكوديكولوجيا"، التي جمعت بين الاهتمام بفكر السلف بفهرسة وبتحقيق المخطوط كما تهتم بترميمه وصيانته وتقديمه للمواطن كتراث فكري وفني.

وعليه فإن الاهتمام بالتراث هو عنوان للتمسك بالأصالة وبالقيم، وتمجيد السلف الصالح باعتبار فكرنا امتداد لفكر زمانه، والكشف عن أبجدية الهوية الوطنية، بحكم أن التراث هو القاسم المشترك بين مختلف الفئات والمذاهب والشرائح الاجتماعية.

وإذا عدنا قليلا إلى الموروث المشترك وإلى التاريخ الذي يحدد القيم الاجتماعية، فإننا نجد الدولة الرستمية الإباضية (أول دولة إسلامية انفصلت عن الخلافة العباسية) الدولة التي تميزت طرق الحكم فيها بطابع ديني وسياسيساير حتى بعد سقوط هذه الدولة في جميع الدول التي تعاقبت

على المغرب الأوسط، رغم تنقل "المدارب" والقصور: فمن تيهرت إلى سدراته إلى وادي مزاب، فإننا نجد مجتمعا مترابطا له جميع المقومات الاجتماعية والثقافية، لم تؤثر فيه لا الأحداث السياسية ولا التنظيمات الاجتماعية ولا التنوع المذهبي.

من بين أعلام الفكر الإباضي، من الرحالة الذين أثروا المكتبة بمصادر عن زمانهم وعن ما كان يطبع دول الجوار بتجليات النص في كتاباتهم القيمة وبغزارة علمهم، الشيخ الوارجلاني (أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم)، الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي (بين سنتي 1100م ــ 1170م)، والذي كان بشهادة علماء عصره قطب زمانه، بفضل الرحلات الثلاث التي قام بها إلى الأندلس وغرب إفريقيا والمشرق العربي، وبفضل الكتب والمؤلفات التي تركها والتي منها: "الدليل والبرهان لأهل العقول" و "العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف"، وهذا ما جعل أهل زمانه يتهافتون على الانتفاع بعلمه وبمعارفه التي اكتسبها من خلال الرحلات الثلاث التي قام بها.

وإذا كان التراث مرآة المجتمع، تعكس ماله وما عليه، فإن شرف الخوض فيه لا يضاهيه شرف، إذ لا يعرف قيمة التراث إلا الأصيل، ولا يعرف قدر أهل الفضل إلا الأفاضل، وتلميع صورة البلد موكول لأبنائه، وعيب البلد على أبنائه، وحماية التراث واجب على جميع أبنائه.

إن الأستاذ يحي بن بهون حاج امحمد _رغم صغر سنه_ قد وفق في اختيار الموضوع، فحقق بشرف رحلة الوارجلاني تحقيقا علميا وافيا، وقدم للرحلة شرحا ضافيا، مستعينا بالمصدر الأصلي وبأمهات الكتب التي تناولت سيرة الإمام، فجاء تحفة علمية رائعة، وتكملة لما ورد عن أدب الرحلة.

أملنا أن يواصل _باحثنا المقتدر_ الغوص في فكر علمائنا من أجل إثراء المكتبة الجزائرية بنفحات عطرة من الصور الواقعية لمجتمع قطعت جذوره لمدة تزيد عن 130 سنة في محاولة لطمس هويته ولتشويه أصالته.

د. علي خلاصي

الجزائر في: 2006/11/11

الورجلانى، يوسف بن ابراهيم بن السدراتى
رحلة الوارجلانى الشيخ ابو يعقوب يوسف
بن ابرهيم السدراتى الوارجلانى
ط 1 ، القاهرة : دار الآفاق العربية 2017
115 ص ، 24 سم

1- العالم – وصف ورحلات .
2- الرحلات فى الادب العربى

أ. حاج أمحمد، يحي بن بهون (دراسة وتحقيق) .
ب. العنوان 910.41

تدمك: 8 – 394 – 344 – 977 – 978
رقم الإيداع : 25747 / 2016
الطبعة الأولى
1438هـ / 2017 م

نشر – توزيع – طباعة
55 شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 22617339 -00202 تليفاكس : 00202-22610164
Email: dar.alafk@yahoo. Com
Email : selim.selim10@yahoo.com



هذا الكتاب

عزيزي القارئ إن حماية التراث حفظ للذاكرة ونقل التجارب الإنسانية الرائدة، ومن تراثنا أدب الرحلة، ولعل الحديث عنها حديث طريف وشيق يقودك لتسرح بخيالك مع ما تقرأ وتتذوق تراثك الغنى والدسم، وتسرى كم هو ممتع ومؤنس أن تقرأ عن رحلة من الماضى مليئة بالأحداث المثيرة، وتتلمس التجارب الإنسانية الخالدة، والسعي في أرض الله الواسعة.

لقد حق في رحلة الوارجلانى قول الدرجينى: " .... ولعمر الله إن فيها لفوائد كثيرة .....". فقد كانت لى كشجرة تؤتي أكلها كل حين بألوان مختلفة وطعوم متلاينة، وطالما أنست بها مقيما أو مرتحلاً فكانت ينبوع الحِكم ومعدن المكارم ونعم المذَخروالعُدَة والمشتغل والحرفة....

عزيزي القارئ، مايتناوله هذا الكتاب:

☐ حياة الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلانى.

☐ رحلاته الي الأندلس والسودان والحجاز.

☐ قصيدته الحجازية البديعة وقصيدته في رثاء شيخه.

أخي ... إن من بين أهداف وضع هذا الكتاب التعريف بالعلماء المغمورين الذين ساهموا بقلمهم في نهضة الجزائر والمغرب الإسلامى، والذين صنعوا من أدب الرحلة روائع خالدة.

يحي بن بهون


9 789773 443948